مجلة
روايات أحلام

لورد أيضا تبكي

www.elromancia.com
مرمورية

مجلة روايات أحلام

www.elrwayat.com

«في الحب الأول تحب المرأة حبيبها وفيما بعد لا تحب إلا الحب».

ماي دانتون وردة في ربيع العمر تبيع الورود وتحلم بالحب، لكن مشاكلها بدأت مع دخول دايڤد لوغان إلى حياتها.

حجته أن أمها عينته وصياً عليها قبل أن تسافر مع زوجها، وهكذا ضرب حولها طوقاً من نار، مانعاً قلبها من أن يخفق لأحد. ثم أسرها في مزرعته كي يتخلص من مشاكل الطفلة الطائشة التي يعتقدها.

ماي وجدت نفسها تذبل في الأسر، لا بسبب اتهامات دايڤد الظالمة لها، أو بسبب علاقته بجانين ابنة زوج أمها، بل لأنها وقعت أسيرة الحب للمرة الأولى في حياتها. فمن سيروي عطش الوردة؟.

لبنان ١٥٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦ د.	مصر ٣ ج.	ليبيا ١ د.
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٠ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧ ر.	عُمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ ـ حياة جديدة

الخامسة والربع . . . نظرت ماي دانتون إلى ساعتها فتنهدت تعبة، بينما أريج الأزهار القوي العابق يصيبها بصداع.

إنه يومها الأول في العمل بعد تلك الأنفلونزا التي منيت بها. كانت السيدة رينهارت قد أشفقت عليها فراحت تنظف الغرفة الخارجية عوضاً عنها، لكنها مع ذلك كان يتوجب عليها البقاء حتى الخامسة والنصف لتهتم بالزبائن الذين قد يصلون في اللحظات الأخيرة.

جلست ماي على كرسي أبيض ثم راحت تمسّد تنورتها الخضراء ومريلتها البيضاء وهي تفكر بشراء هذه الورود الحمراء المتبقية إن لم يشترها أحد. لعلها متهورة أو مجنونة لكنها ستعجز عن العودة إلى الشقة الفارغة وما من شيء يبعث الفرح أو الحبور إلى قلبها.

تنهدت ثانية ثم مررت يدها فوق شعرها الذي غدا قصيراً بعد أن كان مسترسلاً طوال عام. لقد قصته بناءً على رغبة زوج أمها المقبل «ادوارد ماننغ» لتشارك في حفل الزفاف لكن الذي حدث أن الأنفلونزا طرحتها مريضة في اليوم التالي فكان أن لازمت البيت وحرمت من حضور الحفلة.

نظرت مجدداً إلى ساعتها الذهبية ذات السلسلة الناعمة التي تلائم معصمها إلى حد كبير وهي هدية من ادوارد الذي تعتبره ألطف الناس لكنها مع ذلك تتمنى لو أن كاترين في البيت هذه الليلة وهذا بعيد المنال لأن أمها وزوجها سافرا حول العالم في رحلة طويلة ستستغرق أربعة أشهر على الأقل وذلك يعتمد على صحة ادوارد البالغ من العمر ستين عاماً. كم تمنت في هذه اللحظات لو أنها معهما. لقد ادَّخرت لسنوات ثلاث بعض المال لتقوم هي وصديقة لها برحلة كهذه لكن الذي حدث أن أمها حظيت بهذه الرحلة، بينما بقيت هي أسيرة الواقع.

لا بأس... حظاً سعيداً لها. نزلت عن الكرسي بسرعة حين دخل شخصان إلى المحل. رجل وسيم وفتاة شقراء. يا إلهي! إنها ابنة زوج أمها.

ـ جانين!

تحركت إلى الإمام لملاقاتها ثم أردفت:

ـ تسرني رؤيتك، أتريدين بعض الأزهار أم أنك قصدتيني زائرة؟

لم يظهر على جانين بوادر الحماس أو السرور بهذا اللقاء، لكن على ما يبدو أنها أتت عمداً إلى المحل الذي تعمل فيه ماي. عضت ماي شفتها وقد راحت عينا الفتاة الأخرى الخضراوان تحدجانها بنظرات خبيثة. كانت تعلم أنها ليست في خير حال فالتعب على وجهها بادٍ وثيابها مجعدة. هما مختلفتان في أشياء كثيرة فجانين فتاة تملك مالاً كثيراً. بدا رفيقها وسيماً إلى درجة حدتها إلى أن تُسائل نفسها «أيعقل أن بين الرجال رجلاً بهذه الوسامة» لعله نجم سينمائي أو تلفزيوني بهذا الشعر الذهبي وهاتين العينين الزرقاوين

وهذه البشرة السمراء، وتلك الابتسامة!

بعد جهد استطاعت عيناها أن تنظرا ثانية إلى جانين التي كانت تقول ببرود:

ـ «لا أنا لم أرد الزهور يا ماي». توقفت لتوجه بصرها إلى رفيقها ثم أردفت:

ـ «هذه ابنة زوجة والدي. نحن لم نرَ بعضنا إلا منذ فترة قصيرة لاري». عادت عينا تلك الفتاة إلى ماي: «جئت لأرى ما تفعلين متسائلة عن احتمالات بقائك في العمل إذ حسبتك تفكرين في تركه».

ـ أنا؟ لا... ولِمَ أفعل؟

هي تعلم أن جانين لم تحبها قطُّ فمنذ لقائهما الأول وهما لا تنسجمان وكم أسفت لذلك فجانين لا تكبرها إلا بأربع سنوات وهي ذات ثقافة واسعة، كان يمكن أن تتصادقا لولا موقف جانين الجاف منها. فها هي حتى هذه اللحظة لم تسألها إن كانت قد برئت من مرضها الذي أقعدها عن الذهاب إلى حفلة الزفاف. يا لها من فتاة!

كانت جانين ترمقها بنظرة ساخرة، فقالت ماي بتوتر:

ـ لا بد أن والدتي قد أخبرتك عن ادخاري بعض المال بغية القيام برحلة عبر البحار برفقة صديقة لي. لكن الذي حدث أن والدك قد طلب مني العناية بالشقة أثناء غيابهما.

ـ يا عزيزتي إنه لمن كرم الأخلاق أن تضحي بوقتك في حين أنك قادرة على أن تكوني في بلد غريب آخر.

خطت داخل المحل، بتنورتها الحريرية ثم توقفت لتلتقط قرنفلة رفعتها إلى أنفها، التقت عينا ماي بعيني لاري، الذي ابتسم

www.elromancia.com

لها على غير توقع منها ابتسامة ودودة صادقة خفق لها قلبها وهي ترد له البسمة بأخرى حذرة، فهل عليها أن تفعل ما قد لن يعجب جانين؟

استدارت لتأخذ الورود الحمراء، عندما عادت جانين لتقول لها:

ـ سألقي نظرة على الشقة في أمسية ما. على فكرة ألديك مفتاح إضافي تقدمينه لي.

ـ يؤسفني أن أقول «لا».

قالت جانين:

ـ إذاً فتشي عن مفتاح آخر فإن لم تجدي اصنعي لي واحداً.

عضت ماي على شفتها... مالها وللشقة؟ فجانين تقطن في منزل والدها في «كوينباين».

دون أن تجيبها استدارت لتضع الورود فوق ورقة بيضاء لفتها بها ثم ربطتها بشريط أخضر.

قالت جانين:

ـ انسي أمر هذه الورود إن كانت لي لأن لدي موعداً على العشاء قبل عودتي إلى منزلي الذي يضم أحواضاً عديدة ملأى بالأزهار.

احمَّر وجه ماي غضباً، وهي تفكر أنه من غير المجدي أن تقول لجانين ان هذه الورود ليست لها، ويا ترى بم يفكر لاري الذي لا ريب أنه يصغي إلى الحوار الدائر وإن لم يشارك به وماذا ستخبره جانين عنها؟

ـ تذكري أنني سأزور الشقة لأرى ما تفعلين فهي ملك والدي وإن اعتقدت العكس.

ـ ستعلمينني بموعد مجيئك، أليس كذلك؟

ـ لماذا؟ لئلا أراك في الجرم المشهود مع صديقك؟

شدّت ماي على أسنانها.

ـ أردت معرفة موعد قدومك لأهيىء لك عشاء.

ـ سأجرب حظي.

الساعة الآن الخامسة والنصف وقد حضرت السيدة رينهارت لإقفال المحل ودون كلمة وداع خرجت جانين بسرعة. تبعها الرجل بعد أن ألقى تحية وداع. ونظرت السيدة رينهارت إلى باقة الورود وقالت:

ـ وماذا عن الورود؟ هل حصل جدال، فلم يشترياها؟

ـ لا، أشتريتها لنفسي... لقد... وضعت المال في الصندوق سيدة رينهارت.

ابتسمت لها السيدة رينهارت ابتسامة حادة:

ـ أظن أنه أصبح بإمكانك شراءها في هذه الأيام... هذان الشخصان هل هما من الأصدقاء؟

ـ الفتاة هي ابنة زوج أمي.

ـ إنها جميلة، وصديقها أيضاً. حسناً، آمل أن لا تتكرر زيارتهما لئلا يعيقانك عن العمل... عما قريب ترتدين أحدث الأزياء، وتتعشين في أفضل المطاعم... ليتني أبقيت على جودي الفتاة التي استخدمتها أثناء فترة غيابك لأنني أرى أنك قد تفكرين بترك العمل.

ـ اوه لا... سيدة رينهارت، لن أتركه.

توقفت قليلاً عن الكلام ثم أردفت:

ـ لن يؤثر عليّ زواج أمي، فلست طفلة أو تلميذة مدرسة

www.elromancia.com

لأعتمد عليهما.

ـ يا عزيزتي ماي... لقد غيرك زواج أمك بما فيه الكفاية حتى الآن... أولاً لقد تركت السكن في الشقة الصغيرة القديمة لتقيمي في شقة فخمة أليس كذلك؟

ـ أجل... لكن الأمر ليس كما تظنين، فقد انتقلت إلى شقة فارغة في ذاك المبنى الذي يملكه زوج أمي توفيراً للإيجار ولأنه يريد لأمي منزلاً في «كامبيرا» لتتمكن فيما لو أرادت الاستمرار في تأليف الكتب من البقاء قريبة من الجامعة الوطنية. أنا في الواقع لا أقوم إلا بالعناية بالشقة إلى حين عودتهما.

ـ لا توضحي الأمور فمما لا شك فيه أن هذا الزواج قد أثّر فيك وغيّرك. انظري إلى هذه التسريحة التي تظهرك مختلفة أشد الاختلاف وإلى ساعتك الذهبية الصغيرة ممن هي؟ من زوج أمك؟

عضت ماي على شفتها، السيدة رينهارت على حق، فقد تغيرت حياتها، ولكن لا إلى هذا الحد. وقالت:

ـ أجل... إنها هدية منه... إنه كريم جداً. لكني لن أرضى التخلي عن حريتي واستقلاليتي إذ لن أعيش معهما كفرد من العائلة.

ولم تذكر لها ماي شيئاً عن الخمسة آلاف دولار التي وضعها ادوارد في حسابها كمصاريف للشقة، وعن قرارها الذي لن يعجب زوج أمها.

وهزت السيدة رينهارت كتفيها قائلةً:

ـ حسناً... سنرى... فعندما يجري المال في اليد فإن الأمر يغدو مغرياً.

كانت ماي قد أتت إلى العمل بسيارة والدتها الحديثة الصنع،

لكن مما لا شك فيه أن ادوارد سيشتري لأمها أخرى جديدة خاصة وأن هذه السيارة قد أصبحت لها.

بينما كانت ماي تتجه نحو موقف سيارتها شعرت بألم رأسها يشتدّ، فهذا الحوار الذي كان بينها وبين جانين عن مجيء الأخيرة إلى البيت سبب لها الضيق. كيف تظن جانين بها الظنون؟ أتظن حقاً أنها من الذين يستقبلون الشباب في بيتها؟ من أين لها الشباب وهي ليس لها إلى الآن صديق أو حبيب. الشخص الوحيد الذي يزورها في شقتها هو دايڤد لوغان الذي عهدت إليه أمها أمر العناية بها أثناء غيابها. انتقلت أفكارها إلى ذلك الرجل المطلّق الخبير بأمور الحياة، إنه يخيفها إلى حد ما مع العلم أنه ما زارها سوى مرتين. الزيارة الأولى كانت منذ أسابيع يوم أتى برفقة أمها من أجل كتابها الجديد في ذاك الوقت تجاهلها كلياً مركزاً اهتمامه على كاترين الأنيقة الذكية التي هي نقيض ماي الصغيرة التي تخفي نفسها بشعرها البني المسترسل. تساءلت يومها ما إذا كان دايڤد وكاترين معجبان، وكم تمنت أن تخطىء ظنونها، لأن أمها في السادسة والأربعين بينما هو يصغرها بما لا يقل عن عشر سنوات. أما السبب الآخر فهو نفورها منه إذ كان يبعث السأم في النفس ويتظاهر بشكل ما، وكأنه خبر الحياة كلها. فمه كبير قبيح إلى درجة القساوة وتعابير عينيه السوداوين بعثتا الرعدة إلى أوصالها.

قبل الزفاف فاجأتها أمها بقرارها الذي يقضي بموجبه أن يصبح دايڤد مسؤولاً عنها، ناصحاً لها إن احتاجت إلى النصيحة حينها صاحت باستهجان:

ـ لماذا يا أمي؟ لن أحتاج إلى نصيحة كما أنني أستطيع العناية بنفسي... وهذا ما تعرفينه خير المعرفة. وهو إلى ذلك لا يعجبني

www.elromancia.com

لذا أرجوك يا أمي، لا تطلبي منه هذا.

ـ لقد فات الأوان يا عزيزتي، لقد سألته ذلك ووافق عليه كما وعدته أيضاً بمساعدتك له في الطباعة ما دمت لن تطبعي لي شيئاً في الفترة اللاحقة.

ـ ماذا؟ وبماذا يحتاج للطباعة، إنه مربي غنم!

ـ ماي ألم تصغ إلى أحاديثنا في الأمسيات التي زارنا فيها؟

ـ كنتما تتحدثان عن كتابك.

حصلت والدتها على مرتبة الشرف في علم الاجتماع من الجامعة عندما كان زوجها السابق محاضراً في الأدب الانكليزي. منذ ذلك التاريخ كتبت عدة دراسات، والدراسة الحالية تتناول حرية المرأة في القرن التاسع عشر، وهو سيتوقف إلى أن تعود من جولتها حول العالم. كانت ماي تطبع هذا البحث، وهي تحسه ثقيلاً على نفسها منتظرة بفارغ الصبر انتهاءه.

ـ أجل... عن كتابي، ولكن لماذا تظنين أن الأمر يثير اهتمامه؟

ـ لا فكرة لدي.

ـ حسناً، إنه يجمع المعلومات عن تاريخ تربية الغنم، وهذا يفيدني في بعض الأمور. في الواقع، استطاع أن يساعدني في بعض التوجيهات وأبحاثه الآن بحاجة لطباعة، ومن الطبيعي أن أقترح عليه مساعدتك وهذا أقل ما يمكنني عمله لأفيه حقه بعد المساعدة القيمة التي قدمها لي.

ـ لِمَ لم تخبريني عن الأمر قبل الآن؟ فأنا لست راغبة في الطباعة الآن.

ـ أنا لا أشك في أنه سيعطيك أجر عملك لأنه ليس ممن

يستغلون الآخرين. ألا تريدين ادّخار بعض المال؟

ـ طبعاً أريد ذلك. لكن ما الفائدة من الاعتراض وما وقع قد وقع. متى أبدأ معه؟

ـ ليس قبل موعد الزفاف ذلك أن دايڤد قد ذهب إلى ملبورن لزيارة زوجته السابقة، وقد وعد بالاتصال بك بعد عودته ليتفقد أحوالك. يا ابنتي أنت صغيرة ولم يسبق أن عشت وحدك.

ـ يدهشني ما أسمع. ألم تخبريني أنه انفصل عن زوجته بسبب عدم وفائها له.

ـ لا أخفي عليك أنني سمعت بعض الإشاعات عن الأمر، لكن لم اسأله عن سبب زيارته.

ـ ألعله ما زال يحبها؟

فضحكت والدتها بصوت مرتفع:

ـ يا عزيزتي أنك تحاولين اضفاء صورة رومانسية على دايڤد لوغان. اؤكد لك أن رجلاً يحب زوجته لا يمكن أن ينظر إلى النساء بالطريقة التي ينظر هو بها إليهن. إنه لمن المؤسف بقاء رجل جذاب كهذا وحيداً. من يدري ربما يستعيد الثقة بالنساء بعد أن يعتني بفتاة طيبة مثلك.

أيعقل أن أمها تشير إلى احتمال وقوعه في حبها؟ هذا أمر سخيف.

وصلت الآن إلى سيارتها، وهي تعد نفسها باتّخاذ وسيلة ما للتنّصل من الطباعة حيث لن يكون له عذر لأن يراها. ربما سيكون مسروراً إذا ما تخلص من مسؤوليته تجاهها.

ما إن فتحت باب السيارة ووضعت باقة الورود في الداخل، حتى سمعت صوتاً يناديها:

www.elromancia.com

ـ ماي . . .

التفتت بسرعة حتى كادت تقع من الصدمة. إنه الرجل الذي كان برفقة جانين. وحدقت فيه ماي وقد ارتفعت الدماء إلى وجهها الشاحب. ماذا يفعل يا ترى في موقف السيارات هنا؟ ألم يكن من المفترض أن يكون مع جانين يتناولان العشاء في المدينة؟ وقال لها:

ـ لا تنظري إليّ هكذا . . . اؤكد لك حسن نواياي . . . لم تسنح لي الفرصة لأتعرّف إليك جيداً في المحل، لذا انتظرت إلى أن خرجت ثم لحقت بك. اسمي لاري تيرنت وأنت ماي . . . ؟

ـ أجل ماي دانتون. ماذا . . . ماذا تريد؟

ـ حسناً أولاً اسألك: ماذا عندك الليلة؟ أأنت على موعد ما؟

هزت رأسها نفياً.

ـ أنا ذاهبة إلى منزلي ليس إلا، لأنني ما زلت متعبة من الأنفلونزا.

ـ أنا آسف. كنت أريد دعوتك إلى العشاء، فقد جئت إلى كوينسلان لأتجول في رحلة حول استراليا، لكن ليس لي رفقة هنا.

ـ اوه . . . لقد ظننتك مع جانين.

شعرت بضعف في ساقيها . . . لا يمكن أن يحدث هذا لماي دانتون! رجل بجمال لاري تيرنت لا يمكن أن يدعوها إلى العشاء. قال لها:

ـ جانين كانت مرتبطة بموعد آخر . . . انظري، لماذا لا نصعد إلى سيارتك؟ لأنه لا يمكنني تركك واقفة وأنت تشعرين بالضعف.

أمسك لها الباب وهي تنزلق خلف المقود. ثم استدار وجلس في المقعد الثاني إلى جانبها.

ـ إن كنت لا تريدين مرافقتي بسبب جانين لا تتردّدي. لأننا ما تقابلنا إلا لاحياء ذكريات الأيام الماضية. لقد قابلتها منذ سنة. هنا في «كانبيرا» ولا أخفي أنني عدت من أجلها. لكن الذي رأيته أننا تغيّرنا كثيراً وما عدنا كما كنا. لذا ها أنا هنا . . . عندما ابتسمت لي في المحل شعرت بقلبي يخفق؟ وإذا كنت لا ترغبين في السهر الليلة، فما رأيك مساء الغد؟

ـ سأحب هذا.

ابتسمت له. وهي تكاد لا تصدق ما سمعت. هل خفق قلبه حقاً عندما ابتسمت له؟ لم يحدث أن سمعت هذا الكلام من أي شاب. لكن أيعرف ما فعلته ابتسامته بقلبها؟

تابعت كلامها:

ـ إن شئت نتناول الطعام في شقتي الليلة.

ـ أحقاً ما تقولين؟ ألن أكون متطفلاً عليك؟

ـ لا . . . صدقاً. سأحب ذلك. لدي لحم في الثلاجة.

ـ هذا عظيم . . . أين تسكنين؟

ـ في «النيسلي».

ـ عظيم جداً لأنني أنا أيضاً أسكن في المنطقة نفسها في «موتيل» أعدك أن لا أطيل البقاء عندك، فأنت بحاجة للراحة.

ـ أخشى أن يكون هذا صحيحاً.

أدارت المحرك، وفي بضع دقائق كانت السيارة تسير على الطريق الرئيسي. إن ما يحدث معها حلم، حلم رائع. لكن لا ريب أن في الأمر خطأ ما إذ كيف يمكن أن يحدث هذا معها؟

أمضيا أمسية جميلة معاً بعد أن تلاشى ألم رأسها. كان لاري قد ساعدها في تحضير الطعام وفي غسل الصحون بعد ذلك. أخبرها

www.elromancia.com

أنه يعمل في مزرعة والده في غربيّ كوينسلاند وأنه في مثل هذا الوقت من السنة يأخذ إجازة مدة شهرين أو ثلاثة لأنهم لا يستطيعون العمل مع قطعان البقر إلا بعد أن تزول الرطوبة.

ـ كما أخبرتك جئت لأرى جانين، لكن حدث ما لم أتوقعه إذ وجدت أننا لن نتفق. لقد فكرت في الذهاب إلى فرنسا مدة أسبوعين أو ثلاثة.

بعد أن نظفّا المطبخ توجها إلى غرفة الجلوس لينصتا إلى أنغام الموسيقى الهادئة وسط الأنوار الخافتة. تناقشا في أمور عديدة منها موضوع زواج أمها من ادوارد ماننغ، فقال لها:

ـ في الواقع لاحظت أنك وجانين لستما صديقتان مقربين.

ـ نحن لا نعرف بعضنا، لكني أعتقد أنها منزعجة بسبب التغيير الذي أصاب نمط حياتها... فوجود امرأة أخرى معها في بيت واحد غير محبب إلى قلبها.

ـ حياتك أيضاً تغيرت... هل علاقتك جيدة مع زوج أمك؟

ـ نعم إنها كذلك. هو رجل كريم، عطوف. لكنني مع ذلك لن أعيش معهما عندما يعودان.

ـ وهل ستبقين في هذه الشقة؟

ـ لا، أنا سأبقى هنا اثناء فترة غيابهما لأعنى بهذه الشقة. لقد أودع لي بعض المال باسمي في المصرف ليتسنى لي العناية بها إذا ما حدث طارىء. أنا ذات حظ كبير لأن لي زوج أم مثله.

ـ وأنا ذو حظ كبير لأنني التقيت فتاة مثلك.

دنا منها لاري على الأريكة ليضمها إلى ذراعيه. ولما ابتعد عنها كانت متقطعة الأنفاس.

قال ضاحكاً:

ـ يا إلهي، لم أقصد ذلك. أرجو أن لا تكوني غاضبة؟

هزت رأسها وهي لا تصدق ما حدث لها، احمّرت وجنتاها، وهي تقول:

ـ لا، لست غاضبة... ولكن...

ـ أنت تعتقدين أن ما حدث يكفي هذه الليلة.

أمسك بيدها ثم راح يداعب أصابعها قائلاً:

ـ لقد وعدت ألا أطيل البقاء لذا سأودّعك لتستريحي لكن لا تنسي موعدنا غداً... نوماً هنيئاً يا ماي.

تبسّمت له ثانية وهي ترغب في بقائه، ولكنها تعلم أن هذا أمر حكيم، وتعلم أنه عندما يذهب، سوف تستلقي في الفراش وستتذكر كل شيء قالاه.

ـ سأصطحبك غداً عند السابعة.

هزت ماي رأسها وفتحت الباب له. فقال لها:

ـ تصبحين على خير...

حضنها بين ذراعيه قليلاً، ثم مسح شعرها.

عندما افترقا، لاحظت ماي أن شخصاً خرج من المصعد ووقف على بعد خطوات من الباب. تصاعد الدم حاراً إلى وجنتيها عندما أدركت أنه دايڤد لوغان.

رأت على وجهه تعبيراً غريباً فأدركت بعد لحظات أنه ما عرفها بسبب تسريحتها الجديدة التي غيّرت شكلها إلى حد بعيد.

شعرت فجأة بالتسلية لأنها أذهلت هذا الرجل الذي تجاهلها في الماضي. أعطاها ذهوله الثقة بنفسها فكان أن وضعت يدها على ذراع لاري وقالت:

ـ ألم تعرفني سيد لوغان؟ أنت تبحث عني... أليس كذلك؟

www.elromancia.com

أنا ماي دانتون.

تكورت شفتاه بابتسامة متجهمة، وقال:

ـ أجل أنا أبحث عنك، ماي دانتون، لأنني أريد التحدث إليك... هل انتهيت من وداعك؟

يا إلهي... ما هذه النبرة في صوته! يبدو وكأنه ما زال يحسبها طفلة. لقد أراد رعايتها لأنه حسبها طفلة لكنها ستظهر له أنها ليست بحاجة إلى رعايته. أمّا الآن فعليها القيام بواجب التعارف.

ـ لاري... هذا صديق والدتي، السيد لوغان... سيد لوغان هذا لاري تيرنت...

وحدق دايفد لوغان في الرجل الشاب معلقاً ببرود:

ـ رأيتك منذ سنة برفقة جانين في المسرح.

أجابه لاري ببعض الدهشة:

ـ هذا ممكن.

دهشت ماي أيضاً، فهي لم تكن تعلم أن دايفد لوغان يعرف جانين. التفت إليها لاري قائلاً:

ـ هل أذهب يا ماي؟ أم تريدين أن أبقى؟

اتسعت عينا ماي، أيعتقد أنها ليست آمنة مع دايفد؟ إنه على خطأ فهي ستكون بخير معه. صحيح أنها قد تتشاجر معه بشأن رعايته لها حيث ستحاول إقناعه بترك ذلك، لكنها ستكون آمنة معه.

ـ لا داعي لبقائك.

ـ إذاً سأراك غداً.

ثم حيا لاري الرجل الآخر بأدب وسار نحو المصعد.

دخل دايفد لوغان إلى الشقة دون إذنها. أغلق الباب وراءه وبعد لحظات سارت ماي أمامه نحو غرفة الاستقبال، لتواجهه بعد

ذلك بقولها:

ـ أعتقد أن توقيت زيارتك غير مناسب؟

ـ بما أنك ستكونين في العمل غداً وبما أنني رأيت الأضواء مُنارة وبما أن الوقت لا يتجاوز التاسعة فقد رأيت أن لا بأس من زيارتك. صحيح؟ أتأذنين لي بالجلوس؟

ـ اجلس لو سمحت. كنت أفضل أن تعلمني بقدومك.

ـ أخبرتني أمك أنك فتاة منغلقة على نفسك. تلازمين البيت ولا تبرحينه وأنا أذكر أن شعرك منسدل وأن الإنسان يراك أكثر مما يسمعك. لذا لم أفكر أنك مشغولة بحبيبك؟

ـ حقاً؟ وهل فعلت شيئاً مخيفاً؟

ـ أنت تعرفين الجواب أكثر مني. لكني أرى أنك لم تتأخري في استقبال الرجال في منزلك.

تصاعد الدم الساخن إلى وجه ماي:

ـ لا ريب أنك مجنون! أتظن إن دعوت صديقاً إلى شقتي أنني منحطّة أخلاقياً، خاصة عندما يخرج في التاسعةِ والنصف الوقت الذي تظنه مناسباً لزيارتك إياي.

ـ لزيارتي هدف مختلف. متى تعرفت إلى لاري تيرنت؟

ـ منذ فترة وجيزة. هو صديق جانين.

ـ لا أعتقد أنه صديق لها. كيف التقيت به؟

ـ عبر جانين طبعاً؟ ماذا تريد سيد لوغان فأنا أريد الخلود إلى النوم لأنني إلى الآن لم أبرأ من مرضي كل البرء.

ـ أحمد الله على ذلك، لأن زائرك ما كان ليرحل لولا ضعفك.

ـ يا إلهي. طريقتك في الكلام تُسئمني! إعلم أنني لم أردك قيّماً عليّ وأن تحشر أنفك في شؤوني. فإن كنت ستتصرف بهذا الفضول

www.elromancia.com

فالأفضل ألا تأتي إليَّ ثانية. وإن أردت نصيحتك وهذا أمر بعيد فسأطلبها منك.

ـ سأعطيك نصيحتي، طلبتها أم لم تطلبيها. أما بالنسبة لرغباتك أو عدمها فلا آبه بها. لقد وعدت بأن أكون قيّماً عليك لذا سأفي بوعدي مهما كان ذلك مزعجاً لي أو مضجراً لك. النصيحة الأولى هي ألا تستقبلي الرجال في بيتك وألا تقابلي لاري تيرنت.

ـ أتظن أن لك الحق بأن تختار أصدقائي؟ نحن لا نعرف بعضنا! بل أننا لم نتبادل الحديث يوماً. وإن كنت تعتقد أنني سأفعل ما تريد وأترك ما لا تريده فأنت... فأنت...

ـ فأنا مخطىء. أليس كذلك؟ يا إلهي... وكأن أمك لم تطلب مني رعايتك... ماذا تحسبين نفسك فاعلة وأمك بعيدة. هي لا تريد أن تترك لك الحبل على الغارب لئلا تقحمي نفسك في المشاكل.

ـ لن أقحم نفسي في المشاكل... ما فائدة الحديث معك ما دمت لا تفكر إلا بشيء واحد؟

ـ تقصدين أنني لا أفكر إلا بطهارتك التي ستفقدينها؟ نعم أنت على حق فهذا ما أفكر فيه حقاً ولا أعتقد أنني الوحيد الذي أفكر في ذلك. إذاً ما كان يفعل صديقك هنا الليلة؟

ـ تعشينا معاً ثم عانقني مودعاً عند الباب.

ـ أجل... وقبل هذا. على هذه الأريكة؟

رغماً عنها احمر وجهها مع العلم أن كل ما قام به لاري هو معانقتها. في هذه اللحظة كرهت دايفد على ظنونه القذرة.

ـ لن أناقشك في هذا الموضوع. أنا فتاة في العشرين من عمرها تعرف ما تفعل جيداً.

ـ أشك في هذا... لأنه لو كان لك عقل لقبلت نصيحتي.

ـ لن يكون ذلك فأنا لست إحدى نعاجك الغبية لتلاحقني وتدفعني عبر البوابة إلى الحظيرة.

ـ إذاً أنت ممن يحب المرح مع القطيع؟

جعلتها ابتسامته الساخرة تصدر صرخة تنم عن احتقارها وازدرائها. إلى أين سيقودهما هذا الحديث؟ إنه لمن الخير لها أن تقول له: «وفّر هذا الكلام فأنا لست كما تفكر».

ـ بضع خطوات أخرى في الاتجاه الخاطىء وستكونين... ألا تعرفين أنك تخاطرين؟

وقف وهو يتكلم فتقدم منها ليضع يده على ظهر الكرسي التي تجلس عليها ولينحني إليها وأمسك بذقنها ليجبرها على النظر إليه:

ـ لم أعرفك عندما شاهدتك الليلة... متى غيرت مظهرك؟ لقد بذلت كثيراً مبرزاً ارتفاع أنفك مظهراً جمال عينيك الزرقاوين أما فمك الذي ما عهدته إلا مقفلاً فأجده الآن مغرياً مثيراً.

ابتعدت عنه ماي خافقة القلب من جراء هذه النظرة التي تطل من عينيه وقالت بخشونة:

ـ اتركني وشأني... لقد قصصت شعري لحضور الزفاف، لكنني مرضت.

ـ ألم تحضري الزفاف؟ أتعنين أنك اليوم تخرجين للمرة الأولى بمظهرك الجديد.

ـ إذا كنت تريد أن تصف الأمر كذلك فليكن... والآن هل تسمح بالخروج على ألاّ تعود إلى هنا ثانية. لأنك لا تعجبني ولأنني لا أريدك في حياتي.

ـ أنت طفلة مزعجة لئيمة... ولكنك أيضاً جذابة إلى حد

www.elromancia.com

خطير. لا أعلم إن كان عليّ ضربك أم ملاطفتك. ولعلني أميل إلى الأمرين معاً.

ـ لن أدعك تفعل أي منهما. وإذا حاولت لمسي... سأ... سوف...

ـ اهدأي... لست في خطر. بالله اجلسي وتوقفي عن الصراخ، ثم اسمعيني جيداً.

عادت ماي إلى الجلوس على الأريكة ثانية بينما تابع كلامه:

ـ صدقيني لقد أتيت إلى هنا الليلة حسن النية، إذ كنت أعتقدك طفلة لم تدعكها الحياة، تحتاج إلى رعاية كما قالت أمك. لكن ما طالعني، عندما رأيتك بين ذراعي ذاك الشاب، فاجأني لأنك حينها لم تظهري بمظهر الفتاة الوديعة الصغيرة التي ستطبع لي أوراقي بل بدوت جذابة مثيرة حتى تساءلت ماذا كنت تفعلين مع صديقك؟

نظرت إليه ماي... هذا كثير، كثير، فصرخت به غاضبة:

ـ إن لك تفكيراً قذراً سيد لوغان؟ كيف تظن بي الظنون ولا دليل لديك؟

ـ أعتذر. سأقتنع بأنك لم ترتكبي أية حماقة مع لاري تيرنت لكن اعلمي أنني رجل واقعي يعرف أن الطبيعة الإنسانية قد تنجرف في أحيانٍ كثيرة على غير توقع منها.

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني أن لهيب العاطفة عندما يتأجج تصعُب السيطرة عليه. ولا شك أنك ستفهمين ذلك فيما لو حدث لك ذلك يوماً. هل كلامي واضح أم إني أضجرك ثانية؟

ـ أجل سيد لوغان كلامك واضح... أنا لست سوى فتاة عادية طبيعية، ولاري تيرنت... رجل مهذب. هذا هو الأمر بكل بساطة

إن كان يهمك أن تعلم.

أخذ ينظر إليها متأملاً... ثم ارتفع أحد حاجبيه وقال:

ـ هذ ما يظهر لك... بشأن الطباعة...

ـ أنت لن تلزمني بها... فأنت تعرف بما أشعر...

ـ لا تهمني مشاعرك، لكن ما يهمني أن عملك سيملأ أمسياتك.

ـ لا أفهم السبب فأنت تعيش في القاطع الآخر من «كوينباين» حيث تستطيع بسهولة أن تجد من يطبع لك.

ـ معلوماتك غير صحيحة لأنني غالباً ما آتي إلى هنا خاصة أن لي شقة في الطابق العلوي من هذا المبنى.

ـ هنا؟

ـ ولِمَ لا؟ لقد شاهدت أنوار شقتك عندما وصلت الليلة، لدي شعور بأنني سأمضي وقتاً طويلاً هنا في الأسابيع القادمة.

ـ يبدو أن مزرعتك تدير نفسها بنفسها.

ـ لدي مدير هناك... وإذا لم تمطر السماء فليس لدينا الكثير من العمل. سأتركك تأوين إلى فراشك يا ماي. آمل أن تكوني فهمت نصيحتي لأنني سأتولى مسؤوليتك شئت أم أبيت وهذا يعني ألا رجال سيدخلون هذه الشقة بعد الآن.

ـ يا لهذا القول السخيف العائد إلى عقلية الأزمان الغابرة. والدتي ما أرادتك قط أن تعاملني كطفلة قاصرة.

مالت إلى الخلف في مقعدها، رافعة رأسها، فالتقت عيناها بعينيه متحدية. وقف جامداً وهو ينظر إليها ثم قال بهدوء:

ـ ماذا تفعلين الآن وأنت تنظرين إليَّ على هذا النحو؟ أتحاولين إغرائي.

www.elromancia.com

- اغراؤك؟ لماذا؟

- لأقوم بما يقوم به الرجال. وإن ادّعيت الجهل فسأفعل ذلك ولو لألقنك درساً يا آنسة دانتون.

وابتلعت ريقها بصعوبة ثم أشاحت وجهها عنه عاجزة.

لم يتبادر إلى ذهنها بأنها تخاطر عندما دعت لاري تيرنت إلى العشاء ولكن الآن... وهي وحيدة مع دايڤد فهي غير مطمئنة تماماً. إنه أضخم وأقوى بنية من لاري وأكبر عمراً، ربما لا يملك جاذبية لاري، لكن له جاذبية خاصة تشعر بها بقوة. لعل عدم اعتيادها على مواجهة الرجال جعلها متوترة الأعصاب. أحست أن عليها الوقوف لمرافقته إلى الباب لكنها خائفة من... حسناً ممَّ الخوف؟ إذ لن يجسر على... أو على ضربها مثلاً، خاصة وأنه يكرهها كما تكرهه.

- لا أحتاج إلى درس منك مهما كان نوعه. أعتقد أنه آن لك أن تنصرف.

- سأنصرف، الآن، كما عليك أن تتوقعي رؤيتي غداً.

- غداً سيرافقني لاري إلى العشاء وأنا لا أعرف متى أعود.

- لا يهم... بإمكاني الانتظار.

بعد لحظات سمعت الباب يقفل. أما هي فبقيت حيث هي للحظات مرتجفة الجسد، مضطربة المشاعر. دايڤد لوغان جعلها تفقد توازنها فلم تستطيع أن تهزمه في الجولة الأولى على الأقل.

نهضت عن الكرسي قاصدة غرفة نومها، وهناك أشعلت النور فوق المرآة وراحت تتأمل صورتها فيها. إنها تبدو محطمة ذات وجه شاحب وظلال سوداء تحت عينيها. قارنت نفسها بجانين، الرشيقة الجميلة الوسيمة التي فاجأها أن دايڤد يعرفها.

خلعت ملابسها وهي قلقة، وقررت أن تغتسل في الصباح... لأنها تعبة جداً الآن.

عندما آوت إلى فراشها راحت تفكر بتلك القوة التي جذبت لاري وجذبها أيضاً. لكنها دون رغبة منها راحت تفكر بدايڤد لوغان فهل حقاً سينتظرها غداً؟ وهل هو في هذه اللحظات في مكان ما هنا في البناية... يفكر بها ربما.

واستدارت في الفراش على جانبها... ثم نحّته عن أفكارها.

●●●

www.elromancia.com

٢ ـ أنتِ امرأة لعوب

في اليوم التالي، أثناء فرصة الغداء، صنعت ماي مفتاحاً إضافياً للشقة. في كل الأحوال هي ابنة زوج والدتها، وهي لا تريد إثارة عداوتها بل ستسعى إلى إحلال الصداقة بينهما.

عند المساء، وبينما كانت ماي تغادر المحل، ظهرت جانين وهي تقول مسرعة:

ـ هل فعلتِ شيئاً بشأن المفتاح؟

ابتسمت لها ماي وأجابت:

ـ أجل... معي واحداً الآن... هل تريدينه؟

ـ أجل... أقيم حالياً هنا، لا يعقل أن استأجر غرفة ولدي شقة.

ـ ولكنني سأخرج للعشاء...

وفكرت بلاري وتساءلت عما إذا كانت جانين ستنزعج من هذه الصداقة. وربما كما قال لها قد لا تأبه للأمر. لكنها مع ذلك عزمت الرأي على عدم إخبارها بشيء.

قالت لها جانين ببرود:

ـ لا تظني أنني قد أتناول معك العشاء، فلدي مشاريع أخرى... ولكنني أرغب في أن يكون لي مفتاح خاص.

عضت ماي على شفتها... مفتاح خاص... يعني حرية

مطلقة في الدخول والخروج. فتحت حقيبتها وأعطتها المفتاح قائلة:

ـ متى سأتوقع قدومك؟

ـ هذا شأني. المهم متى ستأتين أنت؟

احمر وجه ماي لهذه اللهجة الفظة وقالت:

ـ لن أتأخر... في الواقع سأتناول العشاء مع لاري تيرنت...

انتظرت ردة الفعل لكن الفتاة نظرت إليها للحظات ثم ضحكت:

ـ جيد... جداً! يا لهذه السرعة! أعتقد أنك تهنئين نفسك على اقتحامك دائرتي. وماذا عن قرابتك لأدوارد ماننغ!

ـ لا علاقة لهذا بأي شيء آخر. أنا أعتقد أن لاري لم يكن ضمن دائرتك.

ـ أنت على حق... وإن كنت قلقة فلا لزوم لذلك. بل أنا أهبك كل بركاتي.

ماذا تقصد بكلامها هذا؟ يا الله كيف ستصبر على صحبة جانين محاولة إيهام نفسها بأنها تتمتع بها وكيف ستطيق لهجتها المتكلفة وعدم حب جانين لها.

ـ علي أن أذهب الآن يا جانين... يجب أن أغير ثيابي.

ـ من أجل موعد العشاء العظيم... بالطبع! أعتقد أنك اشتريت ثياباً جديدة ببعض المال الذي تركه لك والدي كما ألاحظ أنك كنتِ عند مزين الشعر أيضاً، وهو المزين الذي أقصده. ما عدت تلك القريبة المسكينة، ولكن ذوقك سقيم فيما يتعلق بالثياب.

ـ ربما لا... لدي شيء تفتقدينه كثيراً يا جانين!

www.elromancia.com

ـ حقاً؟ وما هو؟

ـ الأخلاق.

خرج صوتها متهدجاً. استدارت على عقبيها مسرعة نحو موقف السيارات... وهي توبخ نفسها على تهورها في الإجابة لأنها بذلك أنزلت مستواها إلى مستوى جانين. يا الله! كيف ستسكن جانين معها...

أثناء عودتها إلى المنزل، لاحظت أن حياتها أخذت تتبدل بسرعة مؤخراً... ففكرت بما قاله لها لاري ليلة أمس، بشأن ابتسامتها التي أخفقت قلبه. وهذا لا علاقة له بمسألة قرابتها من ادوارد مانتغ!

عندما بلغت الشقة، استحمت... ونظفت الحمام بدقة. وكانت قد صحت ذلك الصباح باكراً كي تجهز ثوبها الأسود الحريري لترتديه في المساء. وارتدته، ثم نظرت إلى نفسها في المرآة... فإذا بها ترى نفسها أكبر سناً وأجمل مظهراً لأن هذا الثوب أبرز بشرتها البيضاء وعنقها الغض الذي بقي مستتراً تحت شعرها الطويل المسترسل زمناً. بعد تريث وجيز قصدت غرفة كاترين... فوضعت بعض المسحوق على وجنتيها، وظلالاً بنفسجية حول عينيها وكحلاً أسود، أعطتها جميعها مظهراً رائعاً. بعد ذلك عادت إلى غرفتها معزّزة الثقة بالنفس...

دهش لاري لمظهرها. أما هي فقد خفق قلبها لرؤيته ببزته السوداء وقميصه الأبيض. أمسك يديها مقبلاً أطراف أصابعها.

ـ أنت رائعة الجمال! هل كان كل شيء على ما يرام ليلة أمس! أذكر أنني قابلت ذلك الرجل، دايفد لوغان، في السنة الماضية. هل هو صديق لك؟

ـ أكاد لا أعرفه... إنه صديق لوالدتي وقد جاء من ملبورن ليرى ما إذا كنت بخير، وليكلفني ببعض الطباعة على الآلة الكاتبة... وقد جاء يطلب ذلك مني لأن أمي أعلمته بأنني أطبع لها كتبها المتعلقة بعلم الاجتماع. انه يكتب كتاباً عن الأغنام فقد فكر فيّ...

ـ آمل ألا يلزمك بذلك، لأنني أريد رؤيتك كلما تسنى لي الوقت. لذا أريد أن تدّخري لي أوقات فراغك كلها.

صحبها إلى ناد حيث تناولا العشاء في مطعمه الواقع في الطابق الثاني منه. كان الطعام والخدمة ممتازين. بعد ذلك، ذهبا في السيارة التي كان يستأجرها مدة بقائه في «كانبيرا» إلى أحد الضواحي خارج البلدة... جلسا في السيارة ينظران إلى الأضواء المنعكسة على البحيرة أمامهما، وإلى الجسر المعلق فوقها. وهناك عانقها، لكن لم تشأ تركه يفعل كما يريد دون اعتراض وذلك ليس بسبب ما قاله دايفد ليلة أمس بل لأنها ليست معتادة على هذه الأمور.

تمتم لاري:

ـ هل لنا أن نعود إلى شقتك يا ماي؟

جذبت نفسها بقلق من بين ذراعيه:

ـ لا... فعلي أن أصحو باكراً في الصباح يا لاري. أضف إلى ذلك أن جانين ستكون في الشقة.

ـ جانين؟ كنت أظنها لا تريد البقاء هنا مدة طويلة.

ـ على ما يبدو أنها ستبقى الليلة وربما ليال أُخر، من يعلم!

ـ ما دام الأمر كذلك فأنا لن أذهب إلى الشقة. يبدو أنكما ستصبحان صديقتين.

ـ لست متفائلة بحدوث هذه الصداقة، لكن كلي أمل بأن

تتحسن علاقتنا قبل عودة العروسين.

ـ لا تقلقي بهذا الشأن ما دمت على وئام مع عمك.

ـ نعم، يندر أن أجد إنساناً عطوفاً مثله.

ـ هذا عظيم إذاً... أقصد أن هذا سيسعد أمك. أعتقد من الأفضل أن أوصلك. هل نلتقي مساء الغد؟

ضحكت ماي قليلاً وقالت:

ـ لِمَ لا نجعل اللقاء بعد ليلة غد إذ لدي عمل.

ـ أنت مزعجة... لا تلعبي علي لعبة «صعبة المنال» يا ماي.

ـ أنا لا ألعبها. لكن... كل ليلة...

ـ أريد رؤيتك كل ليلة. ولولا عملك لطلبت رؤيتك في النهار أيضاً. هل سأراك بعد ليلة غد.

ـ أجل... إذا كانت جانين خارج البيت فقد نتناول العشاء فيه ثانية.

ـ ليتها تخرج، لأنها إن لم تفعل سنذهب إلى السينما.

ـ عظيم...

في طريق العودة إلى الشقة، فكرت بدايفد لوغان الذي لن تطلق يده في شؤونها. هي لا تعتقد أنه قد ينتظرها حتى هذا الوقت المتأخر من الليل.

عندما وصلا إلى المبنى قالت له أن لا داعي لإيصالها إلى المصعد. وبعد أن أغلق باب المصعد، أخرجت مراتها الصغيرة ونظرت إلى وجهها بسرعة فرأت شعرها مشعثاً قليلاً، فأسرعت إلى تمشيطه ولكنها لم تضع أحمر الشفاه وعندما توقف المصعد أمام شقتها خرجت منه وهي تشعر بالتوتر، لأن دايفد قال إنه سينتظرها ولكنه لم يكن هناك، وعلى ما يبدو أن جانين لم تعد بعد لأنها رأت

أضواء الشقة مطفأة.

دخلت الشقة، وفعلت ما خططت له، فأضاءت فقط مصباح الحائط في غرفتها ثم خلعت ثوبها بسرعة لترتدي البيجاما. بعد ذلك دخلت الحمام عارية القدمين، لتغسل وجهها وتنظف أسنانها. وعندما خرجت من الحمام سمعت جرس الباب فخفق قلبها. تباً له! لا ريب أنه قد رأى النور أو أن حدسه أنبأه بمجيئها. لما رنَّ الجرس ثانية أسرعت إلى فتح الباب وهي تضغط على شفتيها لئلا يعتقد أن لاري عندها.

حدق فيها وهي مرتدية البيجاما ثم تجاوزها ليدخل الردهة. وأرادت ماي أن تضحك... هل كان يظن فعلاً أن لاري معها؟

توجه فوراً إلى غرفتها حيث كان النور يشع. فأقفلت الباب بهدوء ووقفت مستندة إليه، وهي تشعر بالانتصار.

بعد لحظة عاد دايفد لوغان إليها، متجهم الوجه، غاضب العينين ليحدجها بنظراته ببطء هذه المرة. ابتلعت ماي ريقها وقد اختفت عن وجهها ملامح التسلية. إذ كيف لفتاة الحفاظ على توازنها عندما ينظر إليها رجل بهذه الطريقة. أدركت للمرة الأولى في حياتها أنها أنثوية المظهر. التصقت بالباب وهي تصغي إلى دقات قلبها.

توقف غير بعيد عنها وعيناه تحطان عليها. ودون أن تعي ما تفعل وضعت ذراعيها على صدرها مرتعشة اليدين لتخفي فتحة البيجاما وقالت له:

ـ ما الأمر؟ لماذا تنظر إلي هكذا؟

ـ لماذا تعتقدين؟ أخبريني فقط... هل ارتديت هذه البيجاما

www.elromancia.com

لي؟

ـ ماذا تعني؟ ما علمت أنك ستأتي . . .

ـ ما هذا العذر؟ أما فهمت قولي البارحة؟ بما أنك اخترت مقابلتي بهذا المظهر المثير فمن الطبيعي أن أسيء الظن بنواياك إذ يبدو لي واضحاً أنك تريدين اغوائي.

خفق قلبها بشدة، حتى ظنت بأنها ستصاب بنوبة قلبية. . . هي . . . تغويه؟ لا بد أنه يمزح! وهي تمقت هذا النوع من المزاح!

قالت بخشونة:

ـ لقد ارتديت ما ارتديت وهدفي النوم ليس إلا، لكنك وصلت . . .

ـ كفى حججاً!

أمسكها فجأة من معصمها، ليبعد ذراعيها عن جسدها وتابع:

ـ تبدين مغرية إلى حد كبير. أنا قادر، ولك هاتين العينين وهذا الذقن المرتعش، على . . .

توقف عن الكلام، ثم جذبها نحوه فأمسكها بكتفيها وضغط باصابعه عليها بشدة وقال:

ـ ماذا تريدين وقد سددت الباب بجسدك؟ أتعتقدين أنك قادرة على جعلي ألعوبة بين يديك. أستطيع تحطيمك بيد واحدة. ما أنت يا هذه، فتاة غبية أم امرأة لعوب؟

ـ لا هذه ولا تلك دعني وشأني! فما كنت لأفتح الباب لولا طرقك اللجوج فأنا ما أردت زيارتك هذه لأنني لم أدعُك . . .

ـ لا . . . لم تدعيني، لكن الرجال لا ينتظرون الدّعوة، ألا تعرفين ذلك؟ يبدو أنني سأعلمك الكثير.

أدناها منه بحركة سريعة لكنها أبعدته عنها فقال وهو يصرّ على

أسنانه:

ـ كان ليسرني تعليمك، لكن واجبي أن أحميك يا ماي دانتون.

فأطلقت آهة قصيرة . . . يا له من حامٍ يكاد يفقدها صوابها خوفاً منه ورعباً!

قالت بصوت أجش:

ـ مما لا ريب فيه أن أمي قد مُنِيت بالجنون يوم طلبت منك رعايتي.

ـ وكنت أكثر جنوناً منها لقبولي بذلك.

دفعها فجأة بعيداً عنه ثم مد يده إلى مقبض الباب، وقال لها:

ـ سأضع الأوراق اللازمة للطباعة في صندوق البريد غداً قبل أن أذهب إلى المزرعة. قومي بالعمل في أوقات الفراغ وابتعدي عن أذية نفسك. لعلك فهمت الآن ما قصدت عندما منعتك من إدخال الرجال إلى شقتك.

ـ لا يشبهك الرجال جميعهم. اعلم أنني لن أسمح بدخولك هذا المنزل ثانية.

لم يجبها بل فتح الباب وخرج، ثم أغلقه وراءه بقوة.

أخذت ماي ترتجف وهي مذهولة. من الجنون البقاء في الشقة وحيدة تحت رحمة رجل كهذا. ومع ذلك فهي لا تصدق أنها في خطر منه. كل ما في الأمر أنه شاء إخافتها . . . إنها واثقة من هذا . . . ولقد نجح في ذلك بالتأكيد! لكن ما أزعجها إشارتُه إلى أنها ارتدت هذه البيجاما في سبيل اغوائه.

دخلت المطبخ لتصنع بعض القهوة كي تشعر بالدفء وعندما كانت ترتشفها في غرفة الجلوس، سمعت باب الشقة يفتح، وجانين تدخل مسرعة للاستلقاء على أحد المقاعد المخملية وهي ترمق ماي

www.elromancia.com

المرتجفة.

ـ اوه مرحباً يا جانين... تساءلت متى ستعودين. هل أمضيت أمسية لطيفة؟

لم ترد جانين التحية وسألتها بصوت منخفض:

ـ أين لاري؟

ـ لم يأتِ إلى البيت... لقد عاد إلى فندقه.

ـ وأين تناولتما العشاء؟

لم تكن في الواقع مكترثة بالإجابة عن سؤالها، لأنها أمالت رأسها إلى ظهر المقعد ثم أخذت تتفحص أظافرها.

ـ أريد بعض القهوة.

قرارها بألا تخدم أحد شيء وإعلام جانين بهذا القرار شيء آخر. فعلى جانين خدمة نفسها لكن كيف السبيل إلى إخبارها، فكرت قليلاً ثم قالت لنفسها: «لا بدَّ من البت بهذه المسألة». سارعت إلى القول:

ـ ثمة قهوة في الإبريق. صبي منه إن شئت ذلك.

حدجت الفتاتان بعضهما بعضاً بغضب دون أن يرف لماي جفن. رغم تسارع نبضها راحت تفكر إن كانت هذه طريقة لتتصادق مع ابنة زوجه أمها.

أوليس الأفضل لها في تلبية طلباتها، وإظهار استعدادها إلى ارضائها؟ ربما... وربما لا... لكنها لن تفعل ذلك أبداً. تملك جانين المال لكن هذا لا يعني أن على ماي دانتون أن تزحف إليها.

ـ بدأت بالتكبر بعد زواج أمك من المال؟ لقد خرجت إلى سطح هذه الدنيا أخيراً.

ـ لست أدري ماذا تعنين.

صدمها غرور جانين الأرعن. يا لهذه الفتاة المغرورة التي تستحق أن تُقذف بردٍّ جاف، لكن شيئاً ما ردعها عن ذلك ودعاها إلى توخي الحذر، خاصة وأنها قد ادعت أمامها يوماً أنها ذات أخلاق رفيعة:

ـ لست أدري ما مقدار معلوماتك عن عائلتي يا جانين... ولكن قد يهمك أن تعرفي أن والدي كان محاضراً محترماً في الجامعة الوطنية. وكتب والدتي، التي لا تكسبها الكثير من المال، ذات أهمية أكاديمية كبيرة.

شعرت بضعف ساقيها، ولكنها رفضت الجلوس لأن الوقوف على هذا النحو وهي تنظر إلى ابنة زوج أمها يعطيها دعماً معنوياً، وقد نجحت في ذلك لأن جانين بدت مرتبكة نوعاً ما.

تابعت ماي قولها:

ـ لم يكن للمال قط أهمية في حياتي أو في حياة والدتي التي لم تتزوج والدك رغبةً أو حباً بماله. لِمَ لا تنظرين إلى علاقتهما من زاوية أخرى، زاوية الحب لا الجشع.

ـ أنا لست مثلك رومانسية أو حمقاء. كيف أُسرّ أو اقتنع أن أمك تزوجت والدي الذي يكبرها بخمسة عشر عاماً حُباً به، بل كيف أقتنع ووالدي مريض يعاني من ارتفاع الضغط ومن القلب في آنٍ كل ما في الأمر أن والدتك تعلم أنه سيموت قبلها بكثير. هل تعتقدين حقاً أني قد أنظر إلى هذه العلاقة على أنها علاقة حب وغرام. ما يهم أمك ليس سوى المال الذي ستسعى لكسبه بشتى الطرق. تأملي اجرته للقيام برحلة حول العالم مع أن ذلك قد يقتله. كيف تتوقعين مني السرور والبهجة بهذا الفخ؟ بعض المراقبين يقول

www.elromancia.com

متيقناً إنها وابنتها... أي أنت... ستصبحان في أولويات اهتماماته.

أصغت ماي إليها بانزعاج، فلم يخطر في بالها قط أن جانين تفكر في الأمر على هذا النحو.

ـ أنت لست منصفة! فالأمر ليس كذلك أبداً يا جانين، صدقاً ليس كذلك. أعلم أنه ليس حباً عاصفاً، لكن والدتي تحب ادوارد فعلاً... إنها... لقد وضعت كتابها الجديد جانباً لتسافر معه، هو من أراد السفر لا هي في الحقيقة.

ـ هل تتوقعين مني أن أصدق أن الأمر تضحية من والدتك؟ إنها تعرف تماماً ما تفعل... فهي ليست غبية.

ـ على كل الأحوال... أنا سعيدة لزواجهما.

شعرت بتعب شديد، فتاقت إلى فراشها الوثير الذي سينسيها كل شيء عن جانين، كيف لها أن تحتمل جانين ودايفد لوغان في أمسية واحدة.

رفعت جانين عينيها قائلة ببرود:

ـ أنت سعيدة طبعاً وهو أمر لا يحتاج إلى سؤال إنما إياك أن تطلبي مني أن أكون سعيدة... لقد قلت لك إنها ذكية، وهي أيضاً باردة كالكومبيوتر، دعي عنك هذا المظهر البريء فأنت المستفيدة الكبرى من هذا الزواج. خذي هذه الشقة مثلاً، والمبلغ الكبير الذي وضعه أبي في حسابك بعد أن حثته أمك على ذلك. ولكن لا تظني بأنك ستتعالين عليّ فأنا لم أكن قط من الخاضعين. يا لك من غبية بائسة! إنه لمن حقي استخدام هذه الشقة فإن كنت تظنين أنه بإمكانك ترحيلي فستجدين عن قريب أنك مخطئة.

ـ لا اعتراض عندي على بقائك في الشقة. لك أن تختاري

الغرفة التي تريدين وأنا على استعداد لأنقل ما يخصني أو يخص والدتي منها.

ـ لا تكوني متواضعة إلى هذا الحد، سأختار ما أريد.

أحسّت ماي بالمهانة عندما غادرت جانين الغرفة، فما كانت تظن أن جانين ستسبب لها مصاعب حتى في اختيار غرفة لها. فغرفتها أصغر غرفة بين الثلاثة الأخر. وتلك التي تستخدمها كاترين ملأى بأغراضها الخاصة، وقد يحتاج تفريغها جهد كبير وعمل دؤوب. سارت نحو النافذة ترنو بطرفها إلى الخارج تائهة البصر. كانت تسمع جانين وهي تتجول في الشقة. رأت أن الخير لها العيش مع فتاة أخرى في هذه الشقة الكبيرة لكن ليس مع جانين العدائية الطبع التي ستُشعرها بأنها تعيش مع أفعى سامة.

أجبرت ماي نفسها على التوجه إلى الغرفة التي يبدو أن جانين تغالب الشراشف فيها وتقدمت وسألتها عند الباب:

ـ هل كل شيء على ما يرام؟

فحدقت فيها جانين وأجابت:

ـ كان عليك ترتيب الفراش... فأنت تعرفين أنني سأصل متأخرة!

لم تجبها ماي فلو رجتها لساعدتها، لكنها وهي على هذه العنجهية فستتركها وشأنها. بعد لحظة قالت لها «تصبحين على خير» ثم قصدت غرفتها.

نامت في الصباح حتى ساعة متأخرة، ولما ذهبت إلى الحمام وجدته فارغاً فكان إن استحمت بسرعة ثم ارتدت ثيابها قبل أن تسرع إلى إعداد فطور سريع في المطبخ حيث كانت جانين جالسة

تحمل بيدها غلافاً ولا يبدو أنها قد أعدّت لنفسها فطوراً.

ـ هذا كان في صندوق البريد. إنه لك... من دايڤد لوغان.

لم ترد ماي تفسير الأمر مع أن جانين كانت تترقب ذلك فقد دُهشت لما اكتشفت أن دايڤد يعرف ماي.

قالت لها ماي:

ـ أنت تعرفين السيد لوغان أيضاً... أليس كذلك؟

ـ أعرفه جيداً... كيف تعرفت إليه وماذا يوجد في هذا الغلاف؟ ألن تفتحيه؟

ـ ليس الآن. أعرف ما بداخله... عن اذنك جانين اريد الوصول إلى الخزانة وراءك.

تحركت جانين من مكانها وقالت:

ـ متى قابلت دايڤد بالضبط؟ أعرف أنه يستأجر شقة هنا، ولكنه لا يمكث عادة في كانبيرا أكثر من شهر.

ـ ألا يفعل؟

صبت ماي لنفسها كوب عصير برتقال من الإبريق في الثلاجة. جانين تستطيع تحضير فطورها بنفسها، فهي ليست على عجل كما يبدو.

ـ أنا أعرفه منذ وقت طويل... إنه صديق والدتي وهو يكتب تاريخ مزرعة الغنم... وكان يأتي إلى شقتنا الأخرى في أغلب الأوقات.

ـ فهمت... لكن كيف بقي الاتصال بينكما في غياب والدتك إذ ليس بينك وبين رجل مثله قاسم مشترك... هل تقومين ببعض الأبحاث التي تتعلق بسبل الإيقاع بالأثرياء من الناس.

ـ صدقي أو لا تصدقي إنه لا يهمني هذا النوع من الأبحاث. في

الواقع إن والدتي طلبت من السيد لوغان... رعايتي أثناء غيابها.

ـ أن يرعاك؟ يا إلهي! يا لهذا الطلب الوقح! بدأت أفهم أمك أكثر فأكثر، يبدو أنها عازمة الرأي إلى رميك في أحضان دايڤد. لقد جعلت والدي هدفها بعد أن رأت أنها تتجاوز دايڤد سنيناً. لكن اؤكد لك أن دايڤد لن يكون لك يوماً.

أنهت ماي كوب العصير وهي تقول ببرود:

ـ هل تظنين أن علي أن أجرب يا جانين؟

رفرفت جانين بعينيها وقد ارتبكت للحظة، لكنها سرعان ما استعادت رباطة جأشها:

ـ بما أني أفهم جشعك وجشع أمك إلى المال فلا أتعجب إن حاولت لأنه فرصة ذهبية لا تعوض. لكنني أعلِمك أنني ودايڤد على علاقة.

ـ هل هذا صحيح؟

قصدت ماي أن تقول ذلك بقلة اكتراث ولكنها لاحظت نبرة الريبة في صوتها. فإذا كانت جانين تلمح إلى أن دايڤد لوغان على علاقة معها فإن ماي غير مقتنعة لأنه ليس ممن يقعون في حب أية امرأة وإن كانت كجانين جذابة وثرية. أما بالنسبة لما قالته جانين من أنه «فرصة ذهبية» فذلك بسبب ثرائه لكن فيما لو علق في شباكها فإنها من المؤكد سترده إلى البحر!

صنعت ماي لنفسها كوب قهوة، ثم قررت أن تتناول التوست، لأنها تأخرت ولأن صحبة جانين قد أفسدت شهيتها أيضاً. قالت جانين بإصرار وكأن لها الحق بأن تعرف:

ـ حسناً... وماذا هناك في المغلف؟ أم أنه سر عميق؟

www.elromancia.com

وأحضرت كوباً لتصب بعض القهوة لنفسها. فهزت ماي كتفيها قائلة:

ـ ليس في الأمر سر... فكل المسألة أنه طلب مني طباعة بعض الأوراق وقد ذكرني ليلة أمس أنه سيتركها في صندوق البريد.

لاحظت نظرة الغضب التي اشتعلت في عيني جانين ما إن تحدثت عن رؤيتها لدايفد ليلة أمس.

قالت لها جانين وهي تصرّ على أسنانها:

ـ لست أدري ماذا سأفعل بك ماي دانتون... لكنني كلما ازددت بك تعرفاً كلما ازددت لك كرهاً إنك إنسانة تافهة تثير الشفقة، لا جمال لها ولا شأن أو مواهب مع أنك لسبب ما تحسبين نفسك ذات شأن.

كانت معنويات ماي تهبط إلى الحضيض شيئاً فشيئاً، فهي لم تقابل قط إنساناً يكرهها بهذه الحدة. إن صحبة دايفد لوغان أفضل لها من صحبة ابنة زوج أمها. بذلت جهداً حتى لا تجيبها لأنها إن فعلت فقد تضيف الزيت إلى النار وشربت قهوتها بينما تابعت جانين كلامها:

ـ في البداية علقت لاري تيرنت في شباكك. والآن جاء دور دايفد لوغان. ماذا فعلت؟ هل دعوته إلى هنا ليلة أمس؟ أم ذهبت وقدمت نفسك له في شقته لتتأكدي أنه يلاحظ وجودك؟ أنا لن أثير ضجة بشأن لاري لأنني أرى في استيلائك عليه تسلية كبرى ولكنني أحذرك يا ماي، لو زججت نفسك في حياة دايفد فسأصبح شريرة بل مؤذية!

وضعت ماي فنجان القهوة من يدها، ثم نظرت إليها وهي تقول

في نفسها: إنك حقاً شريرة ومؤذية.

تابعت جانين:

ـ لن تتخذي الطباعة حجة للقائه. دعي هذا النص من يدك وليطبعه أي إنسان غيرك وسأعطيه إلى فتاة مناسبة، وأنا على يقين من أن دايفد لن يغضب أبداً، فذلك سينفعك وينفعه.

تلاقت نظراتهما... فقالت ماي:

ـ أنا آسفة يا جانين... سأقوم بترتيب أموري بنفسي... ويبدو أنك نسيت أنني فتاة عاملة... وهذا يعني لي المال.

ضربت جانين فنجان قهوتها فوق الطاولة ثم مدّت يدها إلى علبة السجائر، لتشعل واحدة بيد مرتجفة:

ـ ما هذا الهراء الكامل! إن دعم أمك المادي لن يعوزك إلى المال. اسمعي ستطيعيني شئتِ أم أبيت.

كادت ماي تستسلم أمام أقبح محادثة شهدتها لكنها لن تدع جانين ترهبها.

بعد لحظة من التردد قالت:

ـ أنا لن أختلق الأعذار واعلمي أنني سأفعل ما أريد أنا.

استدارت نحو المغسلة ثم نظفت فنجان قهوتها فصرخت بها جانين:

ـ ستندمين... وأنا أعني ما أقول.

عبست ماي قليلاً. ثم التقطت الغلاف وقالت:

ـ علي أن أذهب الآن... هل ستكونين الليلة هنا يا جانين؟

لكن جانين لم تجب...

●●●

٣ ـ رحلة العمر

تأخرت عن عملها عشر دقائق بسبب شجارها مع جانين فلم يعجب السيدة رينهارت تأخرها.

عندما فتحت الغلاف طالعتها رسالة قصيرة كتب فيها:

«عزيزتي ماي، في هذا الغلاف النصف الأول من كتاب «سيرة آل لوغان»، أرجو أن تطبعي منه نسخة واحدة، لأصححها فيما بعد. أعتقد أنك لن تستطيعي قراءة خطي لكن ألفت انتباهك إلى الملاحظات التي كتبتها. إن واجهتك مشكلة ما فما عليك إلا الاتصال بي في «مراعي لوغان» ليلاً، لأنك لن تجديني نهاراً. أضع نصي بين يديك وأنا كلي ثقة، فحافظي عليه لأنني لا أملك نسخة أخرى... سأعود إلى كانبيرا بعد أسبوع تقريباً متوقعاً منك إنجاز العمل قبل مجيئي وسأدفع لك أجرك. وحتى نلتقي، تصرفي بشكل لائق»

«المخلص.. دايفد لوغان»

قطبت ماي وجهها... إنها رسالة معقولة جداً إذا استثنينا الجملة الأخيرة. ومن الغريب أن يسبب هذا لها شعوراً بالغثيان في معدتها. وتذكرت أموراً كانت تجبر نفسها على عدم تذكرها كيديه القاسيتين على كتفيها ونظرته إلى بيجامتها. وصرير أسنانه وهو

يقول: «أستطيع سحقك بيد واحدة!» ردَّت انتباهها إلى النص، ثم شرعت بقراءته فإذا بها تجد الكتابة ثابتة واضحة، عميقة المعنى وهذا ما جعلها تبطىء في القراءة.

بدأت أحداث القصة عام ١٨٤٦ عندما وصل رجلان من انكلترا فاشتريا أرضاً في براري «نيوسوث وايفز» على ضفاف «مورامبيدجي» أحدهما كان يدعى جايمس لوغان، والآخر صديقه ويليام ماننغ، لعل في الأمر صدفة، فاسم ماننغ اسم معروف وويليام ماننغ قد لا يكون قريبا لأدوارد وجانين، تابعت القراءة فعرفت أنه بعد زواجه ترك حصته لشريكه واشترى أرضاً في مكان آخر. وعرفت الأرض الأولى منذ ذلك الوقت «بمراعي لوغان» وازدهرت جداً.

ورفعت ماي نظرها نحو البحيرة وسرحت أفكارها نحو دايفد فتصورته يمتطي جواداً، يسير به بين الخراف وهي صورة ما خطرت لها على بال وهذا يدل على عدم معرفتها به. إنه لمن المثير أن تكون له هذه القدرة على كتابة مثل هذا الكتاب. فهل ستطبعه له؟ شعرت أن شيئاً ما يدفعها إلى طباعته غير عابئة برجاء لاري الذي يريدها أن تهبه أوقات فراغها أو بتهديد جانين ذاك.

قالت لنفسها: «سأرمي قطعة نقود في الهواء، وبعدها سأقرر». أعادت الأوراق إلى الغلاف ثم نسيت كل شيء عندما نظرت إلى الساعة لتجد أنها ستتأخر عن الوصول إلى عملها ثانية! لن يسرَّ تأخيرها الثاني السيدة رينهارت.

كانت على حق فيما اعتقدت فالسيدة رينهارت كانت غاضبة، وما قالته اسكت ماي تماماً.

ـ ما عدت تأبهين بعملك يا ماي. وأنت تعلمين أن لدي الكثير من العمل. أسرعي وارتدي مريولك.

أسرعت ماي إذ لا فائدة من اختلاق الأعذار.

بعد ساعة تقريباً، وبينما كان المحل مكتظاً بالزبائن والسيدة رينهارت تساعد ماي ظهر لاري، فخفق قلب ماي واحمر وجهها، ابتسمت له ثم تابعت اهتمامها بالمرأة التي كانت تخدمها، ثم تعاملت بعدها مع رجل عجوز طلب باقة ورد كبيرة. أما لاري فراح يتجول في المحل وهو يشم الزهور حوله، سارعت السيدة رينهارت إليه لترى إذا كان بإمكانها مساعدته. فقال لها:

ـ أنا انتظر ماي لأكلمها.

ابتسم لها ابتسامة ساحرة، جمدتها مكانها. لفت ماي الورود للرجل العجوز ثم وبسبب سرعتها ردّت للرجل كمية خاطئة من المال، وهي غلطة لم يفت على السيدة رينهارت ملاحظتها. أسرعت ماي، شاعرة بالذنب، إلى لاري لتقول له همساً:

ـ لدي دقيقة واحدة يا لاري، ماذا تريد؟

ـ يبدو أنني أتيتك في وقت غير مناسب... أنا آسف... سأسرع قدر المستطاع... فهذا التنين ينظر إلي وكأنني أتيت لأشعل النار في المحل! لكنني لم استطع الانتظار إلى الغد يا ماي... أردت رؤيتك... ما رأيك الليلة؟

ـ حسناً...

لم يكن أمامها وقت للمناقشة، فالسيدة رينهارت أبدت مراراً إنكارها ورفضها لهذا النوع من الزيارات.

ـ سأنتظرك في الخارج الساعة الخامسة والنصف وبعدها نقرر ما نفعل.

هزت ماي رأسها موافقة، لكنه زادها إرباكاً عندما عانقها مسرعاً. نظر إلى السيدة رينهارت ضاحكاً ثم غادر المحل. لا ريب أن السيدة رينهارت باتت متيقنة من أن ماي لم تعد بحاجة إلى العمل ولعلها على حق فالشقة التي تعيش فيها مجاناً، والمال الذي أودعه لها ادوارد ماننغ قد يعيلانها خير إعالة. لكنها ترفض كل ذلك وتفضل عليه استقلاليتها، لا يهمها المال ولا يهم أمها أيضاً. ليت ادوارد ما كان غنياً. ومن الأفضل أن تطبع هذه القصة، فربما تخسر وظيفتها...

أحست بالانتعاش أكثر في نهاية اليوم عندما أصبحت مع لاري، وذراعاهما متشابكتان:

ـ لدي تذكرتي سينما كما حجزت طاولة في مطعم «شاركول» لا داعي إلى تبديل ثيابك... فأنت رائعة كما أنت.

بعد مشاهدة الفيلم السينمائي وتناول الطعام أخذا يتبادلان أطراف الحديث إلى أن وصل الحديث إلى فكرة الذهاب إلى باريس.

قال لها فجأة:

ـ انظري... لِمَ لا نذهب معاً؟ أطلبي إجازة من عملك. ألا تستطيعين؟

ـ تتكلم وكأننا نعيش في انكلترا! باريس تقع في آخر العالم.

ـ وإن يكن؟ بُعْدَ المسافة يجعل الرحلة شاعرية.

ولكن ماي لم تكن معتادة على التفكير بسهولة بالعطلات الغريبة للمسافات البعيدة، فأناس مثل لاري وآل ماننغ ينظرون بطريقة أخرى أما هي فعليها التفكير بمصاريف السفر.

www.elromancia.com

مال لاري عبر المائدة:

ـ هل لديك جواز سفر؟

هزت رأسها إيجاباً وكأنها مسحورة... فقال لاري:

ـ حسناً لِمَ لا نذهب؟ سنذهب معاً... دعيني أشتري البطاقات وقولي لذلك التنين العجوز أن تفعل ما تشاء بالوظيفة فلنسافر الأسبوع القادم.

ـ لكننا لا نستطيع! أنا أرفض أن تشتري تذكرتي إذ أستطيع دفع ثمنها.

ـ هس... لا تكترثي للمال... لعلك تحسبينني مجنون! وهذا صحيح لأنني مجنون بحبك.

تهادت الكلمة إلى مسمعيها كسيمفونية عذبة!

أحست أن هذه اللحظة من أروع لحظات حياتها، لأنها هي أيضاً تحبه بجنون، تحب عينيه الصريحتين وشعره الذهبي الراغبة في لمسه وقالت وهي تضحك:

ـ لاري... أنا... أنا... أظن من الأفضل أن أعود إلى المنزل. حقاً... فأنا لا أستطيع التفكير بوضوح، لقد تأخرنا وعليَّ الاستيقاظ باكراً.

قال بنعومة:

ـ ستنامين في باريس حتى الظهيرة.

ـ بل سأستيقظ باكراً لئلا يفوتني شيء.

ـ نعم سأريك كل شيء، وسنمضي وقتاً سعيداً معاً في الفردوس. يجب أن تسافري معي!

ـ ولكن يا لاري لدي أشياء عليَّ إتمامها.

ـ تلك الطباعة؟ حسناً قد ننظر إن كان لا بد من انهائها، لكن ما

يهمني الآن موافقتك على الرحلة.

ردت عليه بهدوء:

ـ سأفكر في المسألة.

كانت الساعة الواحدة ليلاً عندما عادت بسيارتها إلى المنزل. وهي تشعر بالتعب الشديد و... الإثارة... على الأقل قررت أن تطبع النص، لتحصل على المزيد من المال ليعينها. راحت تفكر بالرحلة التي ستقوم بها حول العالم وهي تضع الخاتم في اصبعها. وداعاً أيتها السيدة رينهارت. وداعاً يا جانين، فأنا لا أريد مال والدك، لأن زوجي مدير مزرعة كبيرة يملكها والده...

دخلت الشقة في الظلام بهدوء، متسائلة عن وجود جانين التي بدا بابها مقفلاً. دخلت إلى غرفتها، ووضعت النص على طاولة الزينة... غداً مساء ستعمل بجد في سبيل طبعه.

عندما دخلت الحمام. اكتشفت أن جانين في البيت، فأغراضها وفرشاة أسنانها وعطرها الثمين موجودة فيه.

كانت جانين نائمة عندما استيقظت ماي في الصباح التالي متأخرة للمرة الثانية. أسرعت إلى ارتداء ملابسها وهي مذعورة ولكن هل الأمر ما زال هاماً؟ ألن تسافر مع لاري؟

فكر في وضح هذا النهار أنه ربما اندفعت كثيراً. فهي لا تعلم إلى الآن ما يجول في فكر لاري كما لا تعلم ماذا ستكون ردة فعل دايفد بشأن الموضوع برمته.

ها هي للمرة الثانية تتأخر عن موعد عملها. لما وصلت ادعت أمام السيدة رينهارت قائلة:

www.elromancia.com

ـ أعاقني ازدحام السير.

أملت وقت الغداء أن ترى لاري منتظراً ليطمئن قلبها إلى أن ما حدث البارحة ليس حلماً، لكنها عوضاً عن ذلك وجدت صديقتها تنتظرها. شعرت ماي بأنه مضى عليها سنة لا أسابيع منذ شاهدت صديقتها. إن الأحداث التي مرت بها خلال هذه الفترة لا تحصى. بينما حياة لودي خالية من الأحداث.

دهشت لودي لمرأى ماي الجديد. فقالت لها وهما تسيران إلى حيث تشتريان بعض السندويشات:

ـ تبدين مختلفة.

ـ إنها تسريحتي.

ـ لقد كان حظك سيئاً لأنك لم تحضري الزفاف... هل شفيت من الأنفلونزا الآن؟ لقد اتصلت بك في إحدى الليالي وما من مجيب.

ـ كنت مع لاري عندما اتصلت.

ـ ومن هو لاري؟

ـ حسناً إنه راعي بقر يعرف آل مانغ والده يملك مزرعة أبقار في «كوينزلاند» وهو في إجازة الآن.

ـ هل تحبينه؟

ـ قليلاً... يريدني أن أرافقه إلى باريس...

ـ باريس! هكذا بكل بساطة! هذا حلم... لم أقابل أشخاصاً مثل آل مانغ من قبل... أنت محظوظة يا ماي... هل ستذهبين؟ وهل يريد... حسناً... أن يتزوج... أو شيء ما... أم أن هناك أمراً آخر.

أنهت ماي السندويش قبل أن تجيب، فهي في الواقع لا تعرف

ماذا يريد منها لاري:

ـ لم يسألني الزواج بعد، لكنني أعتقد أن هذا سيحدث قريباً لأننا أغرمنا من النظرة الأولى. لقد اقترح الذهاب إلى باريس ليلة أمس فقط. ولم نقرر شيئاً بعد. مازلت أشعر بالدوار عندما أفكر بالأمر.

ـ كم أود مقابلته. أهو وسيم؟ كم عمره؟

ـ هو في الخامسة والعشرين على ما أعتقد.

راحت ماي تصفه وهي تعتقد أن رفيقتها ستتهمها بالمبالغة. قالت لها لودي بعد أن انتهت:

ـ أعتقد أنه إن كان كما تصفينه حقاً فسترافقينه إلى باريس دون شك لكن يبدو أننا لن نذهب معاً فمن أين لي ثمن رحلة كهذه. يجب أن أغيّر تسريحة شعري. لكن أنّى لي رجل مثله؟ ماذا بشأن ذاك الرجل الذي عهدت إليه أمك أمر رعايتك، لقد أخبرتني إحدى العاملات أن له سمعة سيئة مع النساء فاحذريه يا ماي.

ـ لا تقلقي فهو لا ينظر إلي بهذه الطريقة. إنه في الواقع يكرهني. وأنا لا أطيقه أيضاً...

تشعب موضوع الحديث بينهما، وقبل أن تعودا إلى العمل اتفقتا على اللقاء ثانية...

ذلك المساء عادت ماي إلى المنزل وهي عازمة على البدء بالطباعة لذلك الكريه دايڤد لوغان. لن تدع جانين تخيفها لأنها بأمس الحاجة إلى المال الذي ستكسبه من عملها هذا، وهي لن تقبل أن يدفع عنها لاري. على الأقل ليس قبل أن يطلب منها الزواج. لكن هل ستقبل بذلك إن طلب يدها؟ من يعلم؟ ماذا ستفعل بشأن دايڤد لوغان الذي لن يوافق أبداً بل سيتهمها بالتهور

www.elromancia.com

والغباء وهي تعتقد أن أمها ستتهمها التهمة نفسها.

لم تكن جانين في المنزل، عندما وصلت ماي. لم تفكر ماي أن بإمكان جانين العناية بنفسها ولو لليلة واحدة. فكيف ستطهو الطعام أو كيف ستغسل شعرها. ولما دخلت الحمام وجدت أن أغراضها قد اختفت منه كما اختفت الثياب في غرفة النوم. لقد ذهبت الآن... لكن متى ستعود؟

صعدت إلى غرفتها، بعد تناول العشاء ففتشت عن نص القصة وإذا به قد اختفى، هي على يقين من أنها قد تركته على طاولة الزينة. جمدت لحظات ثم راحت تفتش عنه أولاً في غرفتها، ثم في سائر أرجاء المنزل وما من جدوى. تذكرت ما قاله دايڤد في رسالته: «حافظي عليه لأنني لا أملك نسخة أخرى» ثم تذكرت تهديد جانين: «لن تطبعي له... أنا لا أريدك أن تفعلي»... هل أخذته يا ترى؟ طبعاً هي الفاعلة! فمما لا شك فيه أنها قد قرأت الرسالة، ولتجعلها غير أهل للثقة سرقته. يا لها من شريرة حقود، لامت نفسها على تركها إياه في غرفتها، لكنها لم تشك لحظة بأن جانين مؤذية إلى هذا الحد.

كل ما فكرت أن تفعله هو الاتصال بجانين في منزل والدها، لتطلب منها إعادة النص. لكنها لما اتصلت، علمت أن جانين حملت معها بعض ثيابها ثم غادرت إلى المنزل الريفي لتمضي بضعة أيام في صناعة الأدوات الفخارية. فقالت لمدبرة المنزل: «هل لك أن تعطيني رقم هاتفها أرجوك؟ أريد أن اتصل بها لأمر هام».

أجابتها مدبرة المنزل.

ـ ليس في المنزل الريفي هاتف آنسة دانتون. أقترح عليك

الاتصال «بمراعي لوغان» إذا كان الأمر مهماً، وسيوصل لها السيد لوغان الرسالة.

أعطتها رقم الهاتف، لكنها شعرت بالاحباط. المنزل الريفي إذاً هو في جوار «مراعي لوغان»! وهذا يعني أن ويليام مانغ أحد أقرباء ادوارد مانغ، وأن ذلك المنزل الريفي هو نفسه الذي ذكره دايڤد في قصته. شعرت بالخيبة وهي تلتقط الهاتف لتطلب الرقم الذي اعطتها إياه مدبرة منزل جانين، فكان أن جاءها صوت دايڤد الذي بعث فيها بعض التوتر.

ـ هل هذا أنت سيد لوغان؟

ـ أجل... هل أنت ماي؟ ماذا تريدين؟ ثمة مشكلة ما؟

ـ بالطبع لا. أريد الاتصال بجانين.

ـ هي ليست هنا. وإن كانت في المنزل الريفي، فلا بد أنها غارقة حتى اذنيها بالصلصال. ما القضية؟

ـ لا شيء حقاً. كنت أتساءل فقط ما إذا كانت قد استطاعت أن تتدبر أمر طباعة النص قبل أن تغادر «كانبيرا» اليوم.

ـ عمَّ تتكلمين؟ أنت التي ستقومين بهذه الطباعة وذلك لإبعادك عن المشاكل. أتقصدين القول إنك أعطيته لجانين؟

كلّمها وكأنها مجرمة ارتكبت جرماً فظيعاً. قالت له وهي ترفض أن تخبره حقيقة ما فعلت جانين.

ـ قد لا أتمكن من طباعتها لك... أنا... أنا أفكر في أن آخذ إجازة... لأسافر...

ـ تسافرين؟ إلى أين؟ ومع من؟

ترددت ماي، لأن الشجاعة لم تؤاتها لقول الحقيقة.

ـ اعتقدت أن والدتي أخبرتك عن الرحلة التي خططت لها أنا

www.elmoutamar.com

وصديقتي لودي.

ـ أخبرتني عنها. لكنها لم تذكر أنك ستسافرين في المستقبل القريب. في كل الأحوال لا تفعلي شيئاً قبل أن أناقشك بالموضوع. أما الآن فعليك طباعة النص. سأرى جانين حالاً لآخذ منها النص الذي سيصلك غداً. هل الأمر واضح؟

ـ أجل... ولكن...

لكنه كان قد أقفل السماعة. جلست تحدق في الفراغ وهي تفكر بما فعلت أو بما ستظنه جانين التي لا ريب ستتهمها بتلفيق الأكاذيب عنها. ماذا قصد بقوله «سيصلك النص غداً؟» يا لها من غبية كيف أخبرته عن النص بل كيف اتصلت به؟ لكن لو لم تفعل ذلك لاستولت جانين على النص.

قبل ظهر اليوم التالي كان في المحل دايفد لوغان الذي دون أن يلقي نظرة نحوها اتجّه إلى السيدة رينهارت.

أحست ماي باحمرار وجهها الذي لم يلبث أن شحب، ماذا يقول لها؟ حضرت السيدة رينهارت إليها وهي تقول ببرود:

ـ الأفضل لك أن تأخذي ساعة الغداء الآن يا ماي... لأن المسؤول عنك قد جاء لرؤيتك. لكن اعلمي أنني سأطلب الفتاة البديلة لتحل مكانك ولللأسف تسيرين من سيء إلى أسوأ، فما عدت عابئة بعملك، لأن على ما يبدو أن رأسك مشغول بأمور أخرى هذه الأيام.

نظرت إليها يائسة. أهو خطأها إن أتى دايفد لوغان على غير توقع منها إلى المحل ليطلب أخذ ساعة الغداء الآن؟ كانت خائفة مما سيدور بينهما لاحقاً.

خرجت من المحل، فوجدت دايفد ينتظرها في الخارج والسيدة رينهارت تحدق فيه عبر النافذة. واستدارت إلى ماي وسألتها:

ـ هل هذا هو الوصي عليك يا ماي؟ أم أنه... صديق آخر... إنه كبير بالنسبة لك.

ـ السيد لوغان لم يكذب، فوالدتي قد عهدت إليه أمر رعايتي أثناء غيابها وأنا آسفة لأنه يريد مقابلتي الآن ولكنها ليست غلطتي، صدقيني أنا لا أريد الذهاب إذ علي شراء بعض الأغراض ولن يكون لي ذلك إن خرجت الآن.

ـ أنا حائرة في أمرك يا ماي، لقد كنا إلى الآن على وئام وانسجام. ما عدت تلك الفتاة التي أعرفها؟ فقد تغيرت إلى حد ما ولا أعلم إن كان نحو الأفضل أم الأسوأ.

قالت لها ماي «أنا آسفة» ثم غادرت المحل.

لم يكثر دايفد من الكلام عندما انضمت إليه بل صحبها إلى مطعم ثم طلب الغداء دون أن يستشيرها. كانت قد نسيت قساوته المعهودة، إنه أسمر قوي، تحيط بفمه خطوط قاسية.

لمّا رفع بصره إليها فرآها تتأمله، أشاحت وجهها لتنظر من النافذة إلى الخارج وضربات قلبها تتضاعف. ومال إلى الأمام. ثم قال لها بصوت خفيض:

ـ أنت لا تألين جهداً في جعل نفسك مصدر إزعاج لي. أليس كذلك؟ كأنك طفلة غير مسؤولة، تتلاعبين على مدّرس الحساب.

ـ لِمَ تقول هذا؟

ـ أوَ تسألين؟ كدت أنقض وعدي لأمك لأنني أردت أن أنفض يدي منك. لكن كان علي المجيء لأتحدث إليك عن بعض الأمور.

عندما أقبلت الساقية لتضع طعامهما على الطاولة، تناول الشوكة والسكين، ثم قال:

ـ نبدأ بالنص أولاً.

ـ ألم ترَ جانين؟

ـ رأيتها لكنها قالت إنه ليس بحوزتها فما المقصود من هذا الكذب؟

مدت ماي يدها إلى كوب عصير البندورة، معتقدة أن الطعام يريح أعصابها... النص بكل تأكيد بحوزة جانين فليس هناك من تفسير لاختفائه. لكن تلك الشريرة قد أنكرت الأمر لتظهر ماي بمظهر المستهترة. سيكون من العبث إقناع دايفد بالحقيقة لكن ماذا ستدّعي الآن؟ راقبته وهو يأكل، ثم قالت:

ـ لم أقصد القول إن النص مع جانين. لكنها قالت انها قد تجد من يطبعه إن كنتُ لا أريد ذلك.

ابتسم ابتسامة كريهة جعلتها تنتفض:

ـ كفى تلفيقاً وكذباً. جانين لم تعرف شيئاً عن النص قبل أن أخبرها. هي تقول انك ربما فقدته في مكان ما، وانك تريدين أن تتهميها بذلك لترفعي اللوم عن ذاتك. هي تشعر انك تكرهينها... هل أضعتِ النص يا ماي؟

ابيضَّ وجه ماي من شدة الشحوب، فما تفعله جانين في قمة الشر والخبث. أخذ دمها يغلي لا من أجلها فحسب بل من أجل دايفد أيضاً. فماذا سيكون شعور والدتها لو أن إنساناً ما أضاع لها نصاً. وهو بذلك يكون قد ضيّع عليها عملها وجعله هباء. بعد لحظات نظرت إلى عينيه مباشرة ثم قالت له بثبات:

ـ لا يا سيد لوغان، أنا لم أفقد النص.

ـ سأصدقك، وبناء على ذلك سنعود إلى البداية، عليك طباعة النص ونسيان مسألة إيجاد طابعة أخرى. تذكري... أنا أريده جاهزاً الأسبوع القادم... ألن تأكلي طعامك؟ بالله عليك لا تنظري إليّ وكأنك فقدت عقلك. هل أنت مريضة؟

ـ لست جائعة...

ـ ننتقل الآن إلى المسألة الثانية التي تتعلق بسفرك المفاجيء. لا أكذب إن قلت إنّ ذلك سيسعدني، إذ لدي ما يكفي من مشاكل، هذا بدون تعقيدات فتاة غبية تجعل من نفسها بلهاء. ولكنِ للأسف، أنا مسؤول عنك، أردتُ ذلك أم أبيت. أريد تفصيلاً تاماً عن خططك ليتسنى لي درسها لكن على الأرجح أني سأطلب منك إبعاد الفكرة عن رأسك لأنني أعلم ما ستفعلين في الجزء الآخر من العالم.

ـ في الواقع... لن أعطيك تفصيلاً تاماً بل أنا أرفض مباحثتك في شؤوني الخاصة.

ـ هذا يثير الريبة، ماذا تخفين؟ ألست ذاهبة برفقة صديقتك فقط؟ أم أنكما تريدان القيام ببعض المغامرات؟

ـ لا تكن سخيفاً... لستُ ولودي من هذا الصنف من الفتيات على كل سأفعل ما يحلو لي... دون أن أشرح لك ما أريد.

نظر إليها فاحصاً. وبما أنه قد أنهى وجبته وبما أنها على ما يبدو قد فقدت شهيتها إلى الطعام فقد أشار إلى الساقية ليطلب القهوة. نظرت ماي إلى ساعتها قلقة.

ـ يجب علي أن أعود إلى عملي.

ـ ستعودين عندما أنتهي.

ـ لا... لن تؤخرني عن عملي... ولن تحصل على شيء

مني . . . عل كل . . . يجب أن أتبضع .

وقال لها آمراً بحدة :

ـ اجلسي . . . هل أنت فعلاً تنوين السفر؟

ـ ولِمَ لا؟

ـ مع هذه الفتاة . . . ما اسمها . . . لودي؟

ـ ألم أقل لك هذا؟ أو يهمك مع من أذهب؟

ـ أجل . . . يهمني . . . لكن لا أصدق ما تقولين . سأبقى هنا الليلة . . . عندما تنتهين من عشائك . اصعدي إلى شقتي لنتم حديثنا .

ـ لدي ضيف هذه الليلة .

ـ من هو ضيفك؟

ـ لاري تيرنت .

ـ أمرتك بألا تُدخليه شقتك .

ـ لن أنفّذ ما تريد .

ـ ما دام الأمر كذلك ترقبي مجيء ضيف آخر في الثامنة والنصف .

ـ لن أترقّب مجيء أحد .

لن تطيق مجيئه في الوقت الذي سيكون لاري موجوداً فيه ليسأل اسئلة بغيضة عدوانية تُظهرها بمظهر الطفلة الصغيرة السيئة التصرف . . . على كل هي بحاجة للتحدث مع لاري وحدهما ليتسنى لهما الاتفاق على شؤون الرحلة إلى باريس . . . قال لها :

ـ سأحضر . . . فلا تقولي إنني لم أحذرك .

ـ أنت حقير وأنا أشمئز منك!

نهضت عن كرسيها ، دون أن تشكره على الغداء وأسرعت إلى

ردهة المطعم لتتصل هاتفياً بلاري الذي لم تجده في المنزل ، فكان أن تركت له رسالة أعلمته فيها عن رغبتها في لقائه عند الخامسة والنصف في المحل على أن يتناولا العشاء خارجاً .

وعندما التقت بلاري في المساء قالت له :

ـ أنا آسفة على هذا .

ـ لا يهم ما دمنا سنقضي الأمسية معاً ، ثمة اعتراف لدي .

ـ ما هو؟

ـ لقد حجزت التذاكر إلى باريس .

ـ ولكن . . . ولكنني . . .

ـ لن ترفضي الآن . سنمرح كثيراً هناك أكثر مما نفعل هنا . الرحلة بالتأكيد ستكلّف مالاً ، لكن ما نفع المال إن لم نمتّع أنفسنا نحن ندين لأنفسنا بفعل شيء مجنون للاحتفال بلقائنا . . . شيء لن ننساه أبداً . . . ألا توافقينني الرأي؟

بقيت ماي تحدق في البحيرة ، فمال إلى الأمام وقال :

ـ ماي . . . ما الأمر . . . لقد اتفقنا على السفر . فلِمَ الحذر؟ ألا تثقين بي؟ ألا تشعرين بما أشعر؟

نظرت إليه عبر رموشها ، وهي مأخوذة بمنظره الجميل ، وبعينيه الزرقاوين الصافيتين . هي بالطبع تثق به بل تشعر أنها تحبه ، لكنها ليست معتادة على هذه الأمور . ما ستفعله جنون . وهي كانت دائماً عاقلة .

ـ أثق بك طبعاً يا لاري . . . لِمَ لا؟

فهز كتفيه ثم وضع يده فوق يدها :

ـ أخشى أن يُحاول أحد إفساد ما بيننا . كصديق والدتك دايفد لوغان مثلاً . هل أخبرته بمشروعنا؟

www.elromancia.com

ـ هذا ليس من شأنه.

ـ هذا صحيح... الأمر ليس من شأن أي إنسان في العالم سوانا. ما بيننا من حب شأن خاص بنا فقط.

طلبا الطعام. وفي الوقت الذي انتهيا منه، كانت ماي قد تأكدت من أنها سترافقه إلى باريس بل ستكون مجنونة إن لم تفعل.

فيما بعد أخذها إلى مربع للرقص وهناك ضجت دماؤها بفعل الموسيقى حتى شعرت بأنها لم تكن حية من قبل. هذه هي الحياة... وهي مجنونة بحب لاري. عندما عادا إلى السيارة قال لها لاري:

ـ ثمة خطب ما. قد أستقرضك بعض المال حتى يوم الاثنين. لقد أبرقت لمركزنا في «كوينزلاند» أطلب المال، ولكن من الأفضل أن نثبت الحجز بسرعة. في الواقع إن لم ندفع المبلغ كله فستفوتنا الرحلة... أعتقد أن سفرنا بعد أسبوعين مناسب، تستطيعين خلاله إنذار تلك العجوز الرّهيبة بترك العمل.

ـ بعد باريس سنذهب إلى سيدني لقضاء أيام فيها. ما رأيك؟

ـ عظيم...

ودعها عندما وصلا إلى سيارتها قائلاً:

ـ سأراك غداً يا ماي... أنت حرة مساء السبت، أليس كذلك؟ سنمضي يوم الأحد معاً، ويوم الاثنين. هل ستقرضينني المال يوم الاثنين؟

ـ بالطبع يا لاري... ولكنني سأدفع تكاليف سفري...

ـ سنبحث الأمر فيما بعد...

عادت إلى منزلها وهي تشعر بالدوار. ستحصل أخيراً على الرحلة حول العالم... حقاً! إلى باريس... مع لاري تيرنت...

أمر لا يصدق! ماذا ستقول والدتها يا ترى؟ لا ريب أنها ستقول ما قالته السيدة رينهارت «تغيرت كثيراً يا ماي».

بعد أن دخلت المصعد تذكرت نص دايفد، فشعرت بوخزة ذنب. إنها تشعر فعلاً بالأسف حيال هذا الأمر. أخذ رأسها يؤلمها. يتوجب عليها الآن الذهاب إلى منزل جانين الريفي عوضاً عن السفر مع لاري. لكن ماذا عليها أن تقول لتقنعها برد النص إليها. لعلها، إن قالت لها إنها لا تعبأ بدايفد، قد تعطيها إياه. وإن فعلت فستتمكن من انهاء طباعتها قبل السفر مع لاري.

توقف المصعد، ثم فتح الباب. فسارت عبر الممر شاردة الذهن غارقة بأفكارها. أخرجت المفتاح من حقيبتها. ثم وكأنها تمر بكابوس. لم تستطع إدخال المفتاح في القفل... أحست بالبرد يغزو جسدها... أين هي؟ هذه ليست شقتها... تراجعت مرتبكة. فأوقعت المفتاح، وعندما انحنت لالتقاطه فتح الباب، فكان أن استقامت معتذرة، لكن الاعتذار تجمّد فوق شفتيها بعد أن اكتشفت أن دايفد لوغان هو من يقف هناك يحدق فيها.

●●●

٤ ـ ابتعدي عن رجلي

تسمرت ماي مكانها وكأنها مشلولة. كان يرتدي سروالاً أسود لا غير عاري القدمين. فأشاحت بنظرها عنه.

ـ أنا... أنا آسفة... لا بدّ أنني صعدت إلى هنا خطأ.

لما بدأت بالتراجع، امتدت إليها يد سمراء قوية تمسكها بقوة:

ـ كنت أبحث عنك ماي دانتون... أين كنتِ؟

سمعت نفسها تقول متحدية: «في الخارج» أحست بالرجفة تسري في جسدها عندما شاهدت النظرة الغاضبة على وجهه. جرها وهي عاجزة إلى شقته. ثم سمعت الباب يقفل وراءها. كان من غير المجدي أن تقول إنها لن تدخل، وإن الوقت متأخر، وإنها تريد أن تنام لأن دايفد لن يأبه بقولها.

ـ الله وحده يعلم ما إذا أتيت تخربشين على بابي صدفة أم عمداً. لكن بما أنك هنا فمن الأفضل أن تدخلي لأن عندي ما علي التحدث به إليك.

أدخلها إلى غرفة الجلوس ثم أجلسها على الأريكة، وهو يقول:

ـ ادّخري قواك... لأنني لن أنصت إلى المزيد من الأكاذيب أو المراوغة منك. سنضع كل الأوراق على الطاولة. هل ترغبين في شرب شيء يعيد إليك توازنك أم تتريثين حتى أتمّ قولي؟

وكانت إجابتها رفضاً. فقد حاولت عبثاً السيطرة على أعصابها المضطربة. كان قد حذّرها دايفد من خطورة استقبالها الرجل في شقتها، لكنها لم تشعر بالخطر الذي يتراءى الآن أمامها، وهي مع هذا الرجل المخيف. الجالس بقربها وكأنه سجّانها.

ـ والآن... فلنستمع إلى مشروع إجازتك تفصيلياً دون حذف شيء.

لم تقل ماي شيء بل ضمت يديها بشدة. متمنية عدم إحساسها بهذا التعب والضعف مع العلم أن رأسها لا يؤلمها... قال بعد صمت طويل:

ـ أنت لست مسافرة مع صديقتك بل برفقة لاري تيرنت... صحيح؟

ولم ترد، إنّما اشتعلت وجنتاها احمراراً.

ـ ما إن سافرت أمك حتى فقدت عقلك أمام أول رجل صادفتِه. ما عمق العلاقة بينكما؟ أهي حميمة إلى حد ما؟

ـ اهتم بشؤونك الخاصة فقط، فالأمر ليس كما تتصوره إطلاقاً. أضف إلى ذلك أنني لست طفلة بل امرأة في العشرين من العمر تستطيع فعل ما يحلو لها!

أجابها ببرود وكأنه يرغب في إمساكها وهزّها.

ـ هذا ما تقولينه دائماً. لكن ما لاتعلمينه أنك يوماً ستندمين على ما فعلت أشد الندم. أما بشأن بلوغك العشرين فلا يعني شيئاً لأنك تتصرفين وكأنك فتاة لم تبلغ السادسة عشرة. ومرد ذلك إلى أمك التي لا شك ولا ريب أنها تحبك، لكنها في الوقت الذي انشغلت فيه لفترة بعملها تركتك عالقة في طفولتك. وها أنت وحيدة ولا تملكين ذرة من عقل أو قليل من خبرة وقد توشكين على الغرق.

ـ مما لا شك فيه أنك تملك ما لا أملك من العقل والخبرة.

نظر إليها وعيناه تضيقان، ثم قال:

ـ لا أنكر أن لي خبرة واسعة، لكن لا تنسي أنني أكبرك بخمس عشرة سنة.

ـ صحيح؟ لا يهم... عليَّ الإسراع لألحق بك، حتى في مدة خمس عشرة سنة أليس كذلك؟

حدجها بنظراته ببطء حتى أشعرها بأنه يعد إلى العشرة قبل أن يفقد أعصابه. بعد ذلك سألها بحدة:

ـ أنا على حق فيما قلته؟ أنت تخططين لهذه الرحلة مع لاري تيرنت.

ـ وإذا كان هذا صحيحاً؟

لم تكن تقصد أن تعترف لكنه استطاع التخمين، وهذا ما لم تعد آبهة له. فليس لديها ما تخبئه، فهي تعرف لاري معرفة جيدة جداً، وتثق به أيضاً...

قال لها:

ـ إنك لحمقاء إن أقنعك بذلك يا ماي. أعتقد أن علي أن أكون صريحاً فأخبرك السبب. هو ليس إلا مغامراً أفاقاً يسعى إلى اصطياد الثروات. إنك لا تعنين له شيئاً فما يهمه ويسعى إليه هو مال آل مانتغ وهذا ما تعرفه جانين جيداً. لأنه في السنة الماضية حام حولها. لكنها كانت أذكى منك إذ استطاعت التخلص منه بينما أنت تغرقين في شر فِعالكِ. فكري بالأمر ملياً يا ماي.

مال إليها ثم أخذ يحدق فيها جيداً حتى شعرت بقلبها خافقاً. إن قوله هذا أكثر الأقوال جنوناً... فما شأنها بمال مانتغ؟ إنها فتاة عاملة وهذا ما يعرفه لاري جيداً، كما أنه لا يحتاج إلى أموال

الناس. وهي تعرف من هو.

ـ أموال أدوارد مانتغ لا علاقة لها بي ولا علاقة لي بها سيد لوغان أنا... أنا فتاة عاملة... أعيش مستقلة.

ـ هل هذا صحيح؟ ولكنك تدفعين إيجار الشقة التي تسكنينها. أليس كذلك؟ وهذا يعني أنك تقبضين أعلى أجر قد تقبضه فتاة عاملة في محل في كل «كانبيرا».

ـ حسناً... أنا لا أدفع الإيجار... لكنني أرعى الشقة فقط.

حذار الخلط بين الأمور.

هزَّ كتفيه العريضتين ثم نظر إليها قائلاً:

ـ ولكنك ستسافرين عبر البحار دون سابق إنذار ألا يعتبر ذلك استهتاراً من راعية هذه الشقة؟

وشعرت ماي بالغضب ولما نظرت إليه وجدته راضياً عن نفسه إنما عابس الوجه. نظر إليها قائلاً:

ـ هل تحبين لاري تيرنت؟

ارتجفت ماي وهي تشعر بغبائها إذ كيف تسمح له باستجوابها على هذا النحو. فلو رفضت البوح بشيء منذ البداية فلربما كان قد استسلم.

قالت له، وقد بدا عليها التعب، والسأم:

ـ هل هناك سبب معين يمنعني من أن لا أحبه؟

ـ فكرت بأن أعطيك سبباً. لكن ما الجدوى وأنت مفتونة به إلى درجة لا تجعلك ترين أبعد من ذلك. أعتقد أنك مرتبطة به إلى حد قد يُعجزني عن مساعدتك.

ـ لم أطلب مساعدتك.

ـ أعلم هذا. إنما لسوء الحظ وعدت أمك بأن أكون قربك إذا

www.elrofancia.com

ما أصابك شيء ما.

ـ الحمد لله لم يصبني شيء، لذا أرى أن الخير في أن تُعنى بشؤونك وتتركني أعنى بشؤوني مع لاري. كما أُعلمك أن والده يملك مزرعة في «كوينزلاند».

ـ ما الذي تعرفينه عن هذه المزرعة؟ ماذا أخبرك عنها؟

ـ اوه... أنت... أنت لست ممن يصدقون أحداً.

ـ هل سيتولى صديقك دفع كل المصاريف دون شروط؟

ـ لا أتوقع منه ذلك لأنني أنا سأدفع ما يتوجب عليَّ دفعُه.

رفع دايفد حاجبه متعجباً ثم قال:

ـ لا أشك أن ادوارد قد أجزل لك العطاء.

سرعان ما فهمت قوله، فكرهت أن يتناقش وجانين بأمورها. فقالت بغضب:

ـ أنا لا أعتبر ما أودعه لي في المصرف هدية إنما أمانة أستعملها إن اضطررت عند الطوارىء، لكن اعلم أنني لن أمسّها من أجل الرحلة إذ لدي ما أملكه من مال وإن كنت فتاة عاملة.

ـ لم أتهمك بشيء.

ـ ربما لا، لكنك قصدت ذلك بقولك ذاك.

تنفس دايفد بقوة ثم نهض عن الأريكة:

ـ ماذا تريدين؟ إن قلت إن لك علاقة بأموال ماننغ لا يعجبك قولي وإن قلت إنك فتاة عاملة لا يعجبك قولي أيضاً. يبدو أنه علي أن أصارع فيك رهافة إحساس الأنثى إضافة إلى أشياء أخرى.

ـ سمعت بعض الإشاعات عن قدرتك على التلاعب بمشاعر النساء وكم يسرُّني ألا أكون إحداهن!

ـ أنا أشكر الله على هذا. ولكنك ستكونين إحدى نساء لاري

تيرنت إذا سافرت معه، ولا شيء أيقن من ذلك... أتمانعين لو صببت لنفسي بعض القهوة؟

ـ تستطيع فعل ما تشاء.

وعندما أدار ظهره مجتازاً المسافة نحو الطاولة التي في الزاوية. وقفت عن الأريكة وسارت بسرعة وصمت نحو الباب:

ـ أنا ذاهبة الآن... تصبح على خير.

أخطأت عندما فعلت ذلك. لأنه بأسرع من البرق كان يمسك خصرها من الخلف بقوة وقسوة وهو يهمس بها في أذنها.

ـ لم يحن الوقت بعد إذ لم أنتهِ منك، أعرف تماماً بما تشعرين.

ـ وبم أشعر؟

ـ بالكره لي. فأنت ما أحببتني قطُّ، وها قد جعلتك الآن مضطربة... ألم أفعل هذا؟

ولم تعد يداه قاسيتين بل غدتا لطيفتين، رقيقتين، مقنعتين.

ـ أنا لست مضطربة... أنا فقط... فقط...

ـ لكن يجب أن تكوني مضطربة. لا بد أنك تتساءلين ما إذا كنت محقاً فيما قلته عن لاري تيرنت، ولا ريب أنك كرهتني لما قلته عنه.

كان يتكلم وهو خلفها تماماً، وحرارة أنفاسه على شعرها ترسل رعدة إلى أوصالها. إن لم تكن مضطربة من قبل، فقد أصبحت الآن مضطربة، إنما ليس بسبب ما قصده دايفد.

ـ يجب أن تتأملي لتري أن ليس هناك أي شقوق في الصورة الوردية التي رسمتها لصديقك الوسيم. فكري جيداً يا ماي كم من المعلومات تعرفينها عن هذا الرجل؟ اكرهيني كل الكره على قولي

www.elromancia.com

هذا لكن الواقع يؤكد أن المال قد يجذب بعض الناس أكثر من الوجه الجميل.

ـ لكني لا أملكهما.

وأخذت تتلوى بسرعة بين ذراعيه. فأمسكها بكتفيها وأدارها لتواجهه، ثم نظر في عينيها وقال:

ـ هيا الآن... أنت لا تفتقدين الجاذبية، أما بالنسبة للمال فأنا اعرف ادوارد، وأستيطع القول أنك تستطيعين الحصول على ما تريدينه منه لأنه رجل سخي اليد، سيستجيب بكل حب ورضى إلى مطالب ابنة زوجته الشابة الجذابة.

ـ أتمنى لو تصمت.

أحست برغبة في فعل شيء عنيف كأن تخدش وجهه مثلاً. تحركت يدها بقوة نحوه، لكنه أمسكها ثم لواها:

ـ لا تفعلي يا ماي...

ـ لا أفعل ماذا؟

ـ لا تهربي إلى الأحلام الزرقاء مع من تخالينه حبيبك. تريثي وستكشّف لك الحقيقة هنا في «كانبيرا».

ـ أمام ناظريك لتتدخل في شؤوني ولتفسدها؟

كانت ماي ترتجف، وهي تشعر بقوة هذا الرجل، فلم يحدث أن تعرضت لشيء كهذا. كان الخوف ينبعث عميقاً من قلبها وهي ترى نفسها مهددة من رجل قوي مثله:

ـ اتركني! أنت تؤلم معصمي!

لكنه لم يجبها:

ـ هل تحدث معك عن الزواج؟ أم أنكما ستمضيان أوقاتاً سعيدةً معاً في أوروبا فقط؟

ـ اوه... دعني وشأني!

بدأت الدموع تتساقط من عينيها وتابعت:

ـ ما الفرق إن ذهبت مع رجل بدل امرأة. أعتقد أن الذهاب مع رجل آمن من الذهاب مع امرأة.

ـ صحيح؟ كيف استنتجت هذا؟ هل أنت حقاً جاهلة كما يبدو عليك يا ماي؟ هل تشعرين بالأمان هنا... معي... الآن؟ ونحن في هذا الوضع.

بينما كان يتكلم جذبها إليه بقوة حتى أحست بجسدها يكاد يتحطم فوق جسده الذي شعرت بحرارته، من خلال بلوزتها الرقيقة. خفق قلبها، تسارعت نبضاته. فهي رغم خوفها الشديد من الطريقة التي كان يحتضنها بها كانت تشعر في أعماقها بتجاوب مجنون معه. عندما تركها أحست بالدوار والارتجاف.

ـ هكذا ستكونين بمأمن مع رجل. بإمكاني اغتصابك الآن لو أردت. هل فكرت بهذا الأمر؟ أم أنك قد ترغبين في تقديم هذا الثمن مقابل نوع آخر من الحماية؟

ولم تستطع الإجابة بل ظلت تنظر إلى صدره وهو يعلو ويهبط بانتظام. أرادت أن تهرب. ولكن ساقيها كانتا ضعيفتين جداً. استندت إلى الحائط، تبتلع ريقها بينما فمها يرتجف.

سألها دايفد بإلحاح «حسناً... ما رأيك؟» نظرت إلى وجهه فلما رأت عينيه تشعان سخرية ازدادت له كرهاً. كانت تعلم أن عدم خبرتها قد سلاّه. كم تمنت في هذه اللحظة أن تقول ما يؤلمه. لكن ما الذي قد يؤلم رجلاً قاسياً كهذا. هي لا تعني له شيئاً وكل ما يريده هو تحطيمها وإجبارها على إطاعة أوامره.

ـ لقد جعلك هذا تصمتين يا ماي دانتون؟ أعتقد أن رجلاً لم

www.elromancia.com

يلمسك هكذا من قبل. ولكن بإمكانك أن تتوقعي أكثر من هذا لو عرضت نفسك للخطر متعمدة. وأتمنى أن يكون هذا قد أقنعك بأن تعيدي التفكير بكل شيء بعمق، قبل أن توضبي حقائبك لتسافري مع شخص تكادين لا تعرفينه.

ـ لاري... ليس... مثلك.

ـ إذا كان رجلاً... فهو مثلي. فجاذبيتك لا بأس بها. وأنت تعرفين ذلك... هل تستطيعين إيجاد طريقك إلى شقتك؟

لم تقل ماي شيئاً، وبطريقة ما وصلت إلى الباب وعندما فتحه لها خرجت دون أن ترد له تحيته. كان المصعد هناك، فدخلته دون أن تنظر خلفها. واستندت إلى حائط المصعد ثم صرخت بأعلى صوتها: «خنزير!... وحش!...» لا عجب أن زوجته قد تركته، مخلصة كانت أم لم تكن. ساورها شك في أن تكون أمها مخطئة في نظرتها إلى زواجه. فلو أن زوجته تركته فعلى الأرجح بسبب خيانته لها. ولكنه لن يربح المعركة معها... لن تدعه يسمم أفكارها بسخريته وقلة ثقته بالناس.

أسرعت إلى الحمام، بعد أن خلعت ملابسها، ولما عادت إلى الغرفة رمت المنشفة استعداداً لارتداء ثيابها وهي تخاطب نفسها: «لن أرى هذا الرجل ثانية!» لكنها في هذه اللحظة تذكرت فجأة أنه مهما كانت درجة كرهها له فعليها استعادة النص.

اتصلت بها جانين في الصباح وكانت على وشك الخروج إلى عملها:

ـ ماي؟ هل رأيت دايفد أمس؟

ـ أجل... لقد تناولت الغداء معه.

ـ ما هذه الأكاذيب التي قلتيها عن كتابه؟

ـ لقد قلت له انني لم أضيعه... أنا أعلم أنه معك يا جانين، وسأكون شاكرة لك لو أعدته لي في الحال.

ـ قد أفعل لكن ذلك وقف على تعاونك. فإن عقدّت الأمور فقد أمزّق الكتاب.

ـ إياك. أنت تعلمين كم من الوقت يستغرق حتى ينتهي عمل كهذا. وبما أنك قد قرأت الرسالة فقد علمت أن دايفد لا يملك نسخة أخرى...

ـ كل شيء الآن بين يديك... أريد وعداً منك بالبقاء بعيداً عن طريق دايفد... بعيداً جداً. لن تتناولي الغداء معه بعد الآن ولن تستقبليه في شقتك.

تطلعت ماي إلى ساعتها بقلق، فرأت أن انتظارها انتهاء المكالمة يعني أنها ستتأخر لذا قالت بسرعة:

ـ لا تقلقي بهذا الخصوص يا جانين، إنه لا يطيق رؤيتي كما أنني لا أطيق رؤيته. صدقيني هذه هي الحقيقة. لولا وعده لوالدتي لما رأيته أو رآني.

ـ لا أريد أن أسمع كل هذا الهراء ثانية... اسمعي الآن... أنا في منزل والدي في «كوينزلاند» ولكنني سأعود إلى المنزل الريفي. إنه على الطريق باتجاه «بونجندور» ولا يمكنك أن تخطئيه. يمكنك المجيء لمقابلتي بعد الظهر... هل هذا واضح؟

ـ أجل... سأكون هناك... علي الذهاب الآن... وداعاً.

وضعت السماعة ثم التقطت حقيبة يدها ومفاتيح السيارة ثم ركضت خارج الشقة.

طبعاً وصلت متأخرة إلى عملها. فقالت لها السيدة رينهارت:

ـ أعتقد أنك قد سهرت إلى وقت متأخر، مع صديق ثري.

سأعطيك فرصة واحدة أخرى، وبعدها تتركين العمل.

لم تعترض ماي، لكن قلبها غار إذ كانت تكره أن تطرد من عملها، صحيح أنها ستترك العمل اثناء سفرها إنما مؤقتاً لا دائماً.

مع مضي الوقت. أدركت أن السيدة رينهارت على حق. فهي لم تكن تعمل بكفاءة. فقد كانت خرقاء في تعاملها مع الزهور وقد أوقعت دلواً مليئاً بالماء وكسرت بضعة رؤوس أزهار قرنفل. مشكلتها أنها كانت مشغولة بأفكار كثيرة جعلتها لا تنتبه لما تفعل، فتهديد جانين بإتلاف النص، والعطلة في باريس، ورأي دايڤد بلاري، وتصرفه ليلة البارحة خاصة، كل ذلك أثّر عليها.

بعد الثانية عشر بقليل رن جَرس الهاتف فسمعت السيدة رينهارت تقول ببرود:

ـ عليك الانتظار إذا أردت التحدث إلى ماي. إنها مشغولة، قد أنقل لك رسالتك إن شئت اوه... حسن جداً.

وضعت السماعة ثم قالت بصوت ناعم مزيف. أمام الزبائن:

ـ عندما يصبح لديك دقيقة فراغ يا عزيزتي... أجيبي على الهاتف.

بعد دقائق اكتشفت ماي أن المتكلم كان دايڤد.

ـ ماي؟

ـ أجل... أنا مشغولة كثيراً سيد لوغان!

ـ لقد فهمت هذا. ولكن بعد الذي حدث بيننا أمس. أظن أن من الأفضل أن نلتقي لنتباحث في خططك من جديد. هل أنت حرة بعد الظهر؟ أقترح عليك القدوم إلى «مراعي لوغان».

ـ هذا مستحيل... لدي عمل آخر.

تبادر إلى ذهنها أنها تستطيع بسهولة الذهاب إلى هناك بعد أن تلتقي بجانين ولكن جانين قد تغضب ومن غير الملائم إغضابها الآن.

ـ إذاً يوم غد.

ـ لا أستطيع رؤيتك في الغد أيضاً.

ـ أنت مشغولة جداً مع صديقك... أليس كذلك؟ حسن جداً؟ سآتي إلى كانبيرا يوم الثلاثاء. وسأراك بعد انتهائك من العمل ثم سنتناول العشاء معاً في مطعم حيث نستطيع السيطرة على الأمور والتحدث بطريقة حضارية. لكن قبل لقائنا عليك الإسراع في الطباعة.

ـ سأحاول... علي أن أذهب الآن...

كان يومها كارثة حقيقية. بعد إقفال المحل، قالت لها السيدة رينهارت:

ـ أنا لا أريدك في المحل غدا أو بعد غد. لقد اكتفيت من إهمالك لعملك. لست أدري ما ستقول أمك عندما تعود وتجد...

لم تُرد الاصغاء إليها فليس تأخرها أو اتصال أحدهم هو السبب بل في الواقع أن السيدة رينهارت تشعر بأن ماي قد غدت أفضل حالاً، وهي تريد فتاة تستطيع السيطرة عليها. وأعطتها السيدة رينهارت أجر أسبوعين مقدماً ثم قالت لها:

ـ أنا آسفة لأنك لم تقولي شيئاً فلو اعتذرت لحاولنا من جديد. أنت شابة، والتغير الذي حصل في عائلتك قد أثّر فيك. اعتقدت أنك سوف تهدئين قليلاً عندما تجديني جادة في فصلك من العمل. ولكن لسوء الحظ...

- آسفة . . . يبدو أن الأمر قد انتهى . . .

- ألا تريدين المحاولة من جديد؟

- أنا . . . قد أسافر في رحلة عبر البحار .

- مع من؟ لا تستطيعين الذهاب وحدك، وصديقتك لودي كايس لم تجمع المبلغ المطلوب كما أخبرتني، هل سيدفع لكما زوج والدتك كل شيء؟

- بالطبع لا . . . أنا ذاهبة مع لاري تيرنت لا مع لودي .

- أنت ذاهبة مع رجل؟ أنت من بين كل الناس! لا أصدق هذا! لا أدري ماذا ستقول أمك .

- سأكتب لها . . . إنه يعجبني كثيراً، وأنا لا استطيع السفر وحدي وسأكون بأمان تام معه .

- أنا أستسلم . . . أنتِ فعلاً قد تغيرتِ يا ماي . . . وأعتقد أن لا فائدة من نصحك .

وجدت لاري بانتظارها . أخذ ذراعها ثم نظر إلى وجهها باهتمام :

- ماي تبدين شاحبة . . . ما الأمر؟ هل أبقتك ساهرة كثيراً ليلة أمس؟

- لقد طردت من العمل .

- يا إلهي . . . ولماذا؟

- بسبب تأخري الدائم وعدم تركيزي في العمل .

- أكنت تفكرين بباريس . . . لا تكترثي لهذا الأمر فأنت ستتركين العمل بسبب السفر .

- كنت سأتركه مؤقتاً .

- حسناً ماذا سنفعل الآن . ما رأيك لو نتناول العشاء؟

هزت رأسها قائلة :

- آسفة لن أستطيع إذ علي الذهاب إلى مكان ما .

- لن تخرجي مع شاب آخر .

- بالطبع لا!

- إذاً ما هو الأهم من لقائنا؟ ظننتك تشعرين كما أشعر . . .

- أجل أشعر بهذا . . . ولكن لدي ارتباط مع صديقة لي، أرجو منك أن لا تطلب مني عدم الذهاب يا لاري .

نظر إليها بعينيه اللتين لا تشبهان عيني دايفد . عينا لاري زرقاوان واسعتان، صافيتان وليس فيهما قساوة أو سخرية، بل ود وصدق . شعرت ببعض الإثارة فابتسمت ثم ابتسم لها أيضاً، وهو يضع ذراعه حولها ليتابعا مسيرهما .

- حسن جداً . . . أتعرفين . . . أنت فتاة رائعة يا ماي، عيناك صريحتان وصادقتان كعيني الطفل، ولا أستطيع التصديق أن بإمكانك الكذب ولو حاولت .

بعد ساعتين ونصف كانت تقود سيارتها عبر طريق «بنجندور» تراقب المنعطفات لتتعرف إلى المنعطف الذي وصفته لها جانين . . . ولما وجدته أخيراً دخلت عبر بوابة متقفية آثار عجلات، تمر بالقرب من سياج . ثم استدارت آثار العجلات حول منحدر طويل ليظهر بعد ذلك منزل جانين الريفي، الذي تظلله أشجار كبيرة . كان صغيراً مبنياً من أحجار باليد، له شرفة تمتد أمام مدخله .

فتحت جانين لها الباب، ثم أدخلتها غرفة الجلوس . رغم صغر المنزل إلا أنه كان جذاباً فيه بعض تماثيل البورسلان منها زوج من الأوز البري وقطة مصنوعة بشكل ممتاز متقن، هي من صنع جانين

www.elromancia.com

على ما يبدو. قالت لها جانين:

ـ أعتقد أنك تريدين المغلف.

ـ أجل...

ـ هل ستبتعدين عن طريق دايفد؟

ـ نعم ما قدرتُ على ذلك.

ـ هذا لا يكفي.

وكادت ماي تفقد أعصابها فقالت:

ـ صدقاً يا جانين... ماذا تتوقعين مني أن أفعل؟ أنت حرة بما تريدينه من دايفد لوغان... فأنا لا أريده. ولا استطيع أن أفهم لماذا تشكين في قولي.

ـ أنا أشك لأن أمك الغالية تحاول بوضوح رميك بين ذراعيه، ونا لا أطيق ذلك.

تنهدت ماي، ثم قالت بهدوء:

ـ أنت مخطئة، صدقيني كما أني قد أسافر في عطلة إلى أوروبا قريباً... مع لاري تيرنت.

نظرت إليها جانين بصمت للحظات طويلة ثم ضحكت بطريقة جافة:

ـ هذا ممكن... هل أخبرت دايفد بالأمر؟ لن يكون هناك أفضل من هذه الدراما لتبقي نفسك ماثلة في تفكيره، أليس كذلك؟ وماذا سيفعل بالأمر؟ لو كنت مكانه، لتركتك تقعين على رأسك.

ـ سأفعل ما اشاء ضاربة بعرض الحائط آراءه. ولكن في الواقع، إنه يريد بحث الأمر معي ليلة الثلاثاء، لذا أخافه أن لا استطيع الابتعاد عن طريقه يا جانين.

ـ أنا واثقة أنك ستستفيدين قدر استطاعتك من هذا اللقاء. لا

فرق عندي في كل الأحوال إذ ستكتشفين أن دايفد لن يكترث بمن ستذهبين معه أو بمن ستقيمين علاقة معه.

ـ أنا لا أقيم علاقة مع أحد.

ـ لا تهمني أخلاقك. أتمنى لو تختفين من الوجود. اسمعي ثمة ما أريد إعلامك به. لقد وصل كشف الحساب هذا يوم أمس، وهو باسم والدي. أعتقد أنه ترك لك بعض المال للمصاريف المختلفة؟

ـ أجل... هل هو شيء علي أن أدفعه؟

ـ حزرت. إنها فاتورة الأثاث الذي طلبته أمك. عليك دفعه أما ثمنه فهو أربعة آلاف دولار.

فاجأها الأمر، لكنها كانت على يقين من ان أدوارد لم يرد أن تدفع الفاتورة وهذا ما تعرفه جانين بالتأكيد.

ـ لقد ترك والدك خمسة آلاف دولار معي يا جانين لأدفع هذه الفاتورة.

ـ لقد قال لي... ومن الصعب التوقع بأن أدفع أنا هذا المبلغ، وما الذي يزعجك؟ هل كنت تنوين جعله رأسمال لك أم كنت تنوين استخدامه في رحلتك؟

ـ لا... بالطبع لا.

ـ عظيم إذن لاري لا ينقصه المال، أنا واثقة. أليس من المفترض أن والده يملك مزرعة مواشي بحجم بلجيكا. في المقاطعات الشمالية؟

ـ إنها في كوينزلاند، ولا أتصور أنها بهذا الحجم الكبير.

ـ لا؟ حسناً اعتقدت ذلك ليس إلا. استلمي الفاتورة وسدديها. وها هو النص الذي... أضعته. أخبريني عن رحلتك يوماً ما أم أنها

www.elromancia.com

ما زالت معلقة في الهواء؟

ـ تقريباً...

أخذت ماي المغلف منها ففتحته متفقدةً محتوياته.

ـ لا تخشي ففيه كل الأوراق. إياك والذهاب إلى «مراعي لوغان» سأقصد المكان بعد قليل لأخبره أنك قد وجدت النص في سيارتك.

ـ لا، لا داعي لإبلاغه بالأمر. اطمئني لن أزوره بل سأعود إلى كانبيرا لأبدأ الطباعة. أريد أن أنتهي منه يوم الثلاثاء لأعطيه لدايفد... وأنا سأخرج للعشاء هذه الليلة.

ـ مع لاري؟ حسناً، تمتعي بوقتك، وإذا رغبتِ في دعوته إلى الشقة فلا بأس... لن أكون هناك الليلة.

اضطربت ماي لكنها لم ترد. فقد كانت سعيدة بالعودة إلى سيارتها، والانطلاق بها بعيداً.

●●●

٥ ـ غباء أم براءة؟

أمضت ماي نهاية الأسبوع برفقة لاري فقد توجها يوم الأحد إلى المحمية الطبيعية في «سترنبيلا» وأوقفا السيارة. ثم أخذا يسيران بين أشجار الصمغ الطبيعي والغابات الكثيفة، وهناك أصغيا إلى تغريد الأطيار وهما جالسان على مرتفع يتحدثان عن نفسيهما، فكان أن علمت أنه الابن الوحيد لوالديه وأن أمه ميتة كما أخبرها أشياء عن عمله كراعي بقر، وتحدث عن «الرئيس» كما يسمى والده. استمعت إليه ماي وهي تفكر في ما اختلقه دايفد عنه. سألته بفضول:

ـ ما اسم مزرعة أبيك يا لاري؟

ـ اسمها «كونفيتي داونز». ولكن لا تسأليني لماذا سميت هكذا. وعندما تذهبين إلى هناك. سنرى إذا كنت تستطيعين أن تتبعي أثر هذا المعنى.

بعد ذلك سارا في طريق مختلفة. عبر أشجار الصمغ النعنعي، إلى السيارة، عائدين إلى كانبيرا:

ـ هل ترغبين في العشاء؟

ـ لا... شكراً... أنا تعبة لدي بعض الطباعة.

ـ ما رأيك لو نلتقي غداً في المدينة؟ لعلك لم تنسي مسألة القرض؟

www.elromancia.com

ـ لا . . . لم أنس . . . لكن ألا يمكن أن ينتظروا قليلاً في وكالة السفر؟ فأنا أفضل عدم النزول إلى المدينة غداً لأنني قررت إنهاء ما سأطبعه، وكنت سأطلب منك الانتظار حتى يوم الأربعاء.

حدقت في وجهه وهي تتكلم فلاحظت عبوساً خفيفاً قبل أن يجيبها:

ـ لا بأس، فقد يصل المال الذي طلبته خلال هذا الوقت. سأتحدث مع الفتاة في وكالة السفر.

شعرت ماي بالراحة. ربما كان سخفاً أن تصر على العمل في الطباعة، ولكنها لا تريد أن تستغل جانين الفرصة، وعندما تنتهي من الطباعة وتسلمها، فإن دايفد لن يجد عذراً آخر لإزعاجها.

عملت جاهدة تلك الليلة واليوم الذي تلاه وكان لاري قد اتصل بها ليدعوها إلى العشاء مساء الاثنين فرفضت كما رفضت لقاءه في الليلة الثانية دون أن يبدي إنزعاجاً.

كانت يوم الثلاثاء تنتظر متوترة رنين الهاتف وهي واثقة من أن دايفد سيتصل بمحل الزهور وسيكتشف أنها قد تركت العمل لكنه لم يتصل.

أنهت طبع النص وسعدت بما أنجزته خاصة بعد أن أثار هذا الموضوع اهتمامها وفضولها إلى رؤية تلك الأماكن في «مراعي لوغان» لكنها شعرت بأنها لن تستطيع احتمال صحبة دايفد لوغان هناك.

أسرعت لتستحم، ثم ارتدت بذلة سوداء أنيقة من «الكريب» كانت لوالدتها، وبدلاً من أن ترتدي قميصاً تحتها ربطت شالاً

حريرياً لونه أسود فيه نقط صفراء وبنفسجية. استخدمت عطر والدتها «الشانيل» ثم وضعت بعض المساحيق على عينيها، فأصبحت بذلك في أفضل حال. عندها تذكرت قول دايفد لها: أنت لا تفتقرين للجاذبية.

بعد بضع دقائق كانت تقود سيارتها باتجاه المدينة وهي تفكر بأن هناك طريقة قد يستخدمها دايفد لابتزازها. إذ يستطيع تهديدها بإخبار والدتها بما كانت تفعله بحسب وجهة نظره طبعاً ولم تكن لتشك في أنه قد يجد وسيلة للاتصال بوالدتها لو شاء ذلك. والنتيجة أن والدتها ستصدقه وستعود مسرعة إلى الوطن، وستفسد شهر عسلها ورحلتها حول العالم. خوفاً من حدوث ذلك ستستسلم وستمتنع عن الذهاب إلى باريس أو إلى أي مكان برفقة لاري.

أوقفت سيارتها، ثم سارت رأساً نحو محل الزهور، فلم تجده بانتظارها، كان المحل مقفلاً لكنها رأت السيدة رينهارت في الداخل فاقتربت لتقرع على زجاج النافذة. التفتت إليها السيدة رينهارت وتحركت لتفح الباب:

ـ مرحباً يا ماي! ما الأمر؟

علمت ماي بأنها دهشت لمظهرها الأنيق.

ـ كنت اتساءل ما إذا كان السيد لوغان . . . الوصي علي. قد اتصل بالمحل اليوم، فأنا لم أبلغه بأنني قد تركت العمل.

ـ لا لم يتصل بك أحد. ثمة مشكلة؟ هل ستقابلينه الليلة؟

ـ أجل . . . لقد اتفقنا على هذا هاتفياً يوم السبت صباحاً.

ـ أخشى أن لا استطيع مساعدتك . . . لك أن تستخدمي هاتفي إذا أردت.

ـ لا يهم . . . شكراً لك. أنا أرجّح أنه ينتظرني في الفندق.

كان علي المرور بالمحل أولاً. هل بدأت الفتاة الأخرى بالعمل؟

ـ أجل... وهي سعيدة لحصولها على الوظيفة... لو سمحت لي الآن... علي أن أنهي بعض الأعمال. أرى أنك ترتدين ثياباً فاخرة للمناسبة.

ـ أجل... ولكن هذه بذلة والدتي وهي ليست جديدة.

هل صدقت هذا؟... حسناً وهل يهم الأمر؟ وتركت المحل باتجاه الفندق الذي أخذها إليه دايڤد في المرة السابقة. ليس لأنها متأكدة من انتظاره لها. بل لأنها لا تعلم ماذا تفعل بعد ذلك. كان معها النص مطبوعاً ملفوفاً بعناية بورقة بنية. لكنها كانت تشعر الآن بالحرارة في وجنتيها، وبشيء من الاحباط. لم تفهم لماذا لم يتصل بها. من المؤكد أنه لا يقصد أن يتركها منتظرة! لن يفعل دايڤد لوغان هذا. لكن على ما يبدو أنه لم يعد عابئاً بها أو مهتماً بذهابها مع لاري أو عدمه.

غضبت منه، ومن نفسها أيضاً، نظرت إلى قاعة استقبال الفندق، ثم ذهبت إلى المطعم، وخرجت إلى الردهة ثانية، ثم عادت مسرعة نحو محل الزهور، متجهة نحو سيارتها. بإمكانه منعها عن الذهاب مع لاري لو أراد ولكن، لن يمنعها الآن شيء عن هذا. وستكتشف والدتها كم كانت مخطئة في وضع ابنتها بين يدي رجل مثله! لم تعد ترغب في رؤيته. سوف ترسل له هذا النص الكريه غداً بالبريد. ثم سترافق لاري إلى سيدني ما إن يدفعا ثمن البطاقتين.

عادت إلى المنزل وهي تقود السيارة بسرعة خطرة. فلما أدخلت السيارة إلى المرآب لاحظت أن في شقتها نوراً... هل هي جانين... تباً! هذا ما لن تستطيع احتماله. ودت لو بقيت في

المدينة لتتناول طعامها. ولتشاهد فيلماً سينمائياً أو تتصل بلودي كايس. لأنها لن تصبر على امضاء سهرتها مع ابنة زوج أمها...

أقبلت جانين إلى الردهة، بعد أن فتحت ماي الباب:

ـ ماي! أين كنت بحق السماء، وأنت مرتدية هذه الثياب؟ اوه... طبعاً، تذكرت ستلتقين دايڤد الليلة أليس كذلك؟ لابد أن اللقاء كان قصيراً وممتعاً.

ثم لاحظت الغلاف البني الذي تحمله ماي.

ـ ألم تسلميه النص؟ أم أنك أخذت منه المزيد؟

غيرت ماي رأيها في شأن ادعائها مقابلة دايڤد إذ الخير لها في تخفيض نسبة الكذب. تخطت جانين ثم نظرت إلى غرفة الجلوس وكانت تتوقع أن تجد دايڤد هناك. فسألتها بعصبية:

ـ ألم يتصل دايڤد؟ ألم يأت سائلاً عني؟

ـ لا... هل تخلف عن الموعد؟ ألهذا عدت باكراً! حسناً... لا استغرب ما حدث.

ـ اوه بالله عليك يا جانين... أنت تعرفين جيداً سبب هذا اللقاء. كما تعلمين أنه يريد التحدث معي بشأن لاري.

أخذت جانين تنظر إليها بكبرياء وعنجهية، نظراتها تنتقلان من الأقراط في أذنيها إلى المكياج، إلى البذلة الأنيقة والحذاء العالي. تحركت فتحتا أنفها وكأنها تشم رائحة «الشانيل» ثم ضحكت:

ـ أنت فعلاً تدهشيني بادعائك يا ماي. لم أشاهدك من قبل بهذه الأناقة، ولا تقولي لي بأن دايڤد ليس السبب... هل سددت الفاتورة؟

ـ لم أذهب إلى المدينة هذا الأسبوع... ولكن لا تقلقي...

www.elromancia.com

سأسددها. لا تخافي. ما زالت أموال والدك محفوظة. فإن ظننت أنني سأشتري بها الثياب من أجل دايفد فأنت واهمة. فهذا الثوب أملكه منذ أشهر.

ـ لا أصدق ادعائك. فالأعمى يرى أنك تسعين إلى لفت انتباه دايفد، وإلى إثارة غيرته أيضاً بالتظاهر بأنك مسافرة برفقة لاري. وأنا لا أصدق للحظة واحدة أن لاري سيأخذك إلى أوروبا. وقد ذكرت ذلك أمام دايفد الذي يجد أن تصرفك هذا بغاية الرعونة.

لقد أخبرته جانين أنها لن تذهب مع لاري، ولهذا السبب لم يحافظ على موعده معها! أوشكت ماي على البكاء من الغضب والإذلال لكنها لن تدع نفسها تنهار أمام جانين فقالت:

ـ إن لم يشأ الحضور فكان عليه إعلامي على الأقل.

ـ إن ما فعله كان أفضل بكثير. أنت لا تثيرين اهتمامه كامرأة يا ماي... أنت لست من طرازه.

ـ أنا لا أريد أن أكون كذلك واعلمي أنه هو من يزعجني لا العكس، لأنه لا يكف عن الأمر والنهي في ما لا يعنيه. أتمنى لو لم يكن الوصي علي.

ـ اؤكد لك أنه يتمنى الشيء نفسه، سأخبره غداً بعد أن أعود إلى المنزل الريفي عن شدة انزعاجك بسبب تخلفه. هل أخبره؟

ـ لا لم أنزعج، فإن كان قد قرر نقض عهده فهذا يناسبني كثيراً، لكن ما أريد إعلامه به هو أنني مسافرة إلى باريس برفقة لاري. وأنني تركت وظيفتي.

شعرت بنوع من الانتصار لما رأت جانين تحدق فيها غير مصدقة. استدارت على عقبيها ثم ذهبت إلى غرفة نومها.

في اليوم التالي غادرت جانين الشقة عائدة إلى المنزل الريفي.

لم تسمع ماي أي خبر عن دايفد، ولم تتوقع أن تسمع. حسناً ذاك الإزعاج الكبير ستريحه منه قريباً.

دفعت فاتورة الأثاث، ثم سحبت المال من حسابها الخاص للاري الذي لم يكن المال الذي طلبه قد وصله بعد من «كوينزلاند» ولكنه يتوقع وصوله في أي وقت. بقي في حسابها واحد وخمسون دولاراً فقط، ومئتان وثلاثون دولاراً في الحساب الذي فتحه لها ادوارد وقد تسحب المبلغ كله قبل سفرها.

عندما لم يتصل بها دايفد أرسلت له النص بالبريد، دون أن تضع رسالة، فالصّمت خير إجابة على الصّمت.

قرر لاري السفر إلى سيدني عندما يستلم المال وكان ذلك يوم الجمعة إذ أبلغها أنه حجز في فندق في سيدني.

بعد ذهابه قصدت لودي لتخبرها بما حدث معها.

ـ سأرسل لك بطاقة من باريس يا لودي.

ضحكت لودي قائلة:

ـ باريس! ربما ستتزوجان هناك. أنت جميلة جداً منذ أن قصصت شعرك يا ماي... هل كتبت إلى والدتك؟ ما رأيها؟

ـ سأكتب لها قبل السفر. أنا على يقين من أنها ستحب لاري لكنها ستدهش قليلاً.

ـ أعتقد هذا!

بعد ظهر السبت استقلت ماي مع لاري الطائرة إلى سيدني، وهي لا تملك إلا مائتين دولار وهو كل ما بقي بحوزتها إلى أن يرد لها لاري القرض. وفيما الطائرة تغادر «كانبيرا» أخذت تقنع نفسها بأنها سعيدة، ولكن في أعماقها شعرت بالقلق. كانت قد كتبت

لأمها في اليوم السابق. ومهما حاولت أن تشرح في رسالتها، فلم تستطع أن تجعل الأمر يبدو منطقياً، ولا أن تجعل حبها للاري يبدو حقيقياً، أما بالنسبة لدايفد فلم تذكر لها شيئاً عنه. كانت تتوقع حتى آخر لحظة لها في المطار أن يأتي دايفد ليجرّها عائدة إلى المدينة لكنه لم يظهر.

فاجأها أن لاري لم يحجز لهما غرفتين منفصلتين بل جناح ذو سريرين وحمام صغير. كان يمكن أن تسارع في الأحوال العادية إلى تأمل الشارع الذي يحيط بالجناح لكن ما حدث أن الخجل قد استحوذ عليها ما إن دخلت الجناح. فسألها لاري وهو واقف في منتصف غرفة النوم.

ـ ما الأمر؟ ألم يعجبك؟

ـ أعجبني ولكن... لم تسألني ما إذا... كنت أمانع في أن أشاركك الغرفة.

سارع إلى قطع الغرفة ليمسك يديها قائلاً:

ـ أظننت أننا سنقيم في غرفتين منفصلتين. لا لن يكون ذلك ونحن نُكِنُّ هذه المشاعر لبعضنا بعضاً.

ـ في الواقع لم أفكر في هذا...

ـ لم تفكري؟ حسناً، لقد فكرت أنا. ولكن لا تقلقي، فسنمضي وقتاً رائعاً معاً يا ماي. لقد حجزت مقاعد لنا في الأوبرا لهذه الليلة. وكل ما عليك فعله الاستمتاع بوقتك تاركة ما يهمك خلف ظهرك. لِم لا تفتحين حقائبك لتنتقي منها ثوباً مناسباً لهذه الليلة، ومن ثم فكري بالمرح الذي سيكون لنا... سأتولى العناية بك. أعدك.

تلك الليلة كانا سعيدين. تناولا العشاء في مطعم الفندق، ثم

استقلا سيارة إلى الأوبرا. مسرورين برؤية الأضواء في الميناء. ونسيم الليل العليل، ولمعان النجوم في كبد السماء! بدا لاري فاتناً في ثياب السهرة السوداء والقميص الأبيض بينما كانت ماي ترتدي البذلة السوداء. حتى بدت كمليون دولار كما قال لها لاري.

بعد حفلة الأوبرا، عادا رأساً إلى الفندق، دخل لاري قاعة الجلوس لتناول كوب من القهوة قبل النوم، أما هي فصعدت فوراً إلى الغرفة لتنام. عندما دخل الغرفة لم تشعر به لأنها كانت تغط في نوم عميق.

تنزها يوم الأحد في الحديقة العامة ثم تناولا الغداء في المدينة، ثم ذهبا إلى الميناء فتجولا على طول الشاطىء. ثم ذهبا ليلاً إلى السينما. اثناء عودتهما إلى الفندق، أخذ لاري يتحدث عن باريس والأشياء المثيرة التي سيفعلانها هناك.

عندما خرجت ماي من الحمام تلك الليلة كان ينتظرها في الغرفة، وقد أطفأ الأضواء كلها ولم يترك إلا ضوءاً واحداً. لما رأته جالساً على سريرها مرتدياً ملابسه خفق قلبها ولكنها أشاحت وجهها عنه ثم قالت:

ـ أريد أن أخلد إلى النوم يا لاري.

نهض بسرعة ولكن عندما بلغت السرير وجلست لتخلع الحذاء من قدميها، جلس قربها ثانية، ثم وضع ذراعه حولها وضمها إليه. ابتعدت ماي عنه، صدمها نفورها منه. انزلقت عن السرير لتقف مرتجفة وظهرها إلى الحائط. نظر إليها مبتسماً. ومع ذلك لم تكن تريد منه الاقتراب، وشعرت بأنها ستهرب من الغرفة وهي تصرخ إذا حاول الاقتراب. فجأة حضرت في ذهنها صورة دايفد لوغان وهو يضمها إليه ويقول لها: «استطيع اغتصابك الآن إن أردت» في ذاك

www.elromancia.com

الحين أجابته «لاري . . . ليس مثلك».

أما الآن وهي تنظر إلى لاري مرتجفة مذعورة راحت تفكر أهو كما تظنه؟.

مال لاري إلى الخلف فوق السرير ثم وضع يديه خلف رأسه، والابتسامة لم تفارق وجهه. قال بصوت ناعم:

ـ ألا تريدين؟

تنفست ماي الصعداء حتى كادت تجهش بالبكاء. وارتجف فمها وهي ترد له الابتسامة هازةً رأسها نفياً. ونهض لاري عن السرير، ثم راقبته وهو يستدير إلى الناحية الأخرى من الغرفة، مبعداً الغطاء عن سريره. . . إنه متمدن. . . إذاً دايفد لوغان على خطأ. لاري ليس مثله. إنها آمنة تماماً معه. . . آمنة طالما اختارت هي ذلك.

رغم شعورها العميق بالأمان شعرت بالندم يجتاحها لأنها أقدمت على مغامرة كهذه. لقد فات أوان التراجع، وليس عليها الآن إلا متابعة الطريق. لعلها إن أوت إلى سريرها تنسى خوفها فيطمئن قلبها. لكن شيئاً لن يهدِّىء من نفسها هذه الليلة كما أنها لا تستطيع التصور أنها بين ذراعيه. لماذا؟ هي لا تعرف.

صباح الاثنين، اقترح عليها الذهاب إلى السوق بينما يقوم هو ببحث بعض تفاصيل الإقامة في باريس. تساءلت إن كان عليها تذكيره بالمبلغ الذي اقترضه، فهي لا تملك إلا القليل القليل من المال.

وقبل أن يفترقا خارج الفندق. أجبرت نفسها على القول:

ـ لاري. . . بشأن ذلك المال الذي اقرضته لك. . . أعني. . .

فابتسم لها ثم أجاب:

ـ لم أنسه. يا ماي غداً سنشتري شيكات سياحية وسندبر الأمر عند ذلك. . . جيد؟

هزّت رأسها موافقة، فابتسم ثم أردف:

ـ سنتحدث عن المال هذه الليلة.

لم يأتيا على ذكر هذا الموضوع حتى العاشرة ليلاً إذ لما عادا إلى جناحهما سألها عما اشترته.

ـ لا شيء. . . لقد تأملت الواجهات ليس إلا.

ـ حسبتُ النساء يحببن شراء الملابس، أم أنك تتريثين حتى نصل إلى باريس.

ـ لا. . . أنا لا أريد شيئاً.

ـ اوه. . . هيا الآن. . . لماذا لم تشتري آلة تصوير مثلاً؟

ـ لم أفكر فيها.

ـ إذاً سنشتري اثنتين غداً. هل أبلغت المصرف بأن يرسل صورة توقيعك إلى هنا كما طلبت منك؟

ـ لا، فقد أحضرت المال كله معي.

ـ أحضرته كله؟ بالله كم هو المبلغ؟

ـ مئتا دولار تقريباً.

حدَّق فيها مذهولاً:

ـ ماذا؟ ماذا تقولين؟ أهذا كل. . . أقلت هذا؟ . . . ولكن ألم تقولي. . . والآن تقولين. . . اوه هيا يا ماي، لا بد أنك تمزحين؟

ـ أنا لا أمزح. . . لا أملك سوى هذا المبلغ وذاك الذي أقرضتك إياه.

حملق فيها طويلاً ثم لم يلبث أن غدت عيناه الزرقاوان باردتين

www.elromancia.com

عدوانيتين، وكأنهما عينان غريبتين.

- وماذا بشأن المال الذي أودعه ادوارد ماننغ باسمك؟ إنه مبلغ ضخم يثير الجنون... ألم تقولي هذا؟

تلاشى الدم من وجه ماي حتى أضحى شاحباً.

- كان المبلغ خمسة آلاف دولار... لم يبق شيء منه... إذ كان علي أن أدفع فاتورة كبيرة قبل مغادرة كامبيرا...

فصاح قائلاً:

- يا إلهي! لقد تحدثت وكأنك تملكين ثروة، خمسة آلاف دولار! وها أنت الآن لا تملكين سوى مئتي دولار! ماذا كنت تريدين أن تفعلي بهذا المبلغ بحق الله عليك؟

عقدت الصدمة لسانها لما رأت منه هذا التغيير الشديد. وأخيراً قالت بصوت مرتجف:

- إنه يكفي احتياجاتي يا لاري... على كل أنت تملك...

تلاشى صوتها حتى اختفى. ماذا يملك... عدا المال الذي أقرضته إياه؟ لم تعد واثقة من شيء.

وبدأ يفك أزرار قميصه ووجهه خالٍ من أي تعبير. أما هي فالتقطت بيجامتها ثم ذهبت لتستحم.

واستلقت في السرير مستيقظة. أخبرها دايفد أنه صائد ثروات ولم تصدقه، لكنها الآن ما عادت واثقة من شيء. أكان لاري يُمني النفس بمال ادوارد ماننغ؟

سمعته يتقلب في الفراش فقالت:

- هل فات الأوان لإلغاء تذكرتي يا لاري؟

- اوه... نامي الآن... وسنبحث الأمور غداً.

٦ - يبحث عنها

استيقظت ماي في الصباح التالي من نوم عميق متأخرة لتفاجأ بصمت غريب يلفها. جلست في الفراش وهي تجيل عيناها فيما حولها فإذا بها ترى أن أغراض لاري كلها غير موجودة. لقد ذهب. قفز قلبها ولم تلبث أن تذكرت بجنون المحادثة التي دارت حول المال البارحة. استنتجت أن دايفد كان على حق في كل ما قاله فلاري ما كان يهمه سوى مال ادوارد ماننغ ولما رآها لا تملك منه شيئاً رحل.

زحفت خارج السرير مسرعة لتفتح حقيبة اليد ولما وجدت المبلغ القليل الذي تملكه فيها حمدت الله أمّا ذاك القرض فقد ولّى إلى غير رجعة على ما يبدو... يا لغبائها وسذاجتها! تمنت غير متفائلة أن يكون قد سدّد حساب الفندق لكنها بعد نصف ساعة اكتشفت أنه لم يفعل والمال الذي بحوزتها لا يغطي الفاتورة. فكرت في الاتصال بدايفد لوغان. لكن ماذا ستقول له: «أرجوك أرسل لي مالاً كي أسدّد فاتورة الفندق الضخمة وكي أرجع إلى البيت ولتعيلني حتى أجد وظيفة أخرى». لكن أليس عليه مساعدتها في مثل هذه الظروف؟ نعم كان يمكن ذلك. لو لم ينفض يده من شؤونها الأسبوع الماضي. ليته قابلها الثلاثاء الماضي. لكن عليها بدل الندم أو اللوم أن تبحث عن مخرج لورطتها هذه.

www.elromancia.com

الشيء الوحيد الذي استطاعت التفكير فيه هو الاتصال بلودي كايس عند المساء في منزلها. فهي تملك بعض المال الذي قد ينقذها سترده لها ما إن ترجع أمها من السفر. جلست ماي في غرفة النوم وهي تشعر بالرعب من فكرة العودة إلى كانبيرا حيث ستواجهها شماتة جانين وعلى الأخص شماتة دايفد.

لم تدر لماذا أحزنتها فكرة شماتة دايفد أكثر من هجر لاري لها. لقد شعرت في هذه اللحظة بالسعادة للتخلص من لاري الذي لم يسعَ إلا إلى المال. لكن كيف وهو يملك مزرعة. على ما يبدو أن قصة المزرعة أيضاً وهم من نسج خياله. يا لها من غبية!

قررت أخيراً أن تتصل بلودي. وما كادت تمديدها لتلتقط السماعة حتى رن جرس الهاتف. فأسرعت لتجيب مرتجفة:

ـ ألو؟

ـ ماي؟

اوه... يا إلهي! إنه دايفد لوغان. كاد يغمى عليها وهي تقول متلعثمة «أجل»...

ـ أنا دايفد لوغان سأكون عندك بعد خمس دقائق.

ـ أين أنت الآن؟

لكنه قبل أن تنهي كلماتها كان قد أقفل الخط...!

تسمرت في مكانها وقلبها يخفق سريعاً. دايفد في سيدني بل هو في الفندق. ما إن مرت خمس دقائق حتى كانت طرقاته على الباب. نظرت بسرعة إلى ما تبقى من ملابسها خارج الحقيبة، ثم إلى الفوضى على الرف تحت المرآة، ثم سارعت إلى المرآة لتنظر إلى نفسها، إنها تبدو شاحبة محطّمة تحيط عينيها دوائر سوداء حتى

شعرها بدا دون حياة. أسرعت فلونت شفتيها بأحمر الشفاه ثم مشطت شعرها وألقت ببجامتها في الحقيبة... ماذا ستقول له؟ ماذا يعرف يا ترى عما حدث؟ ربما يعرف كل شيء باستثناء ما جرى معها هذا الصباح.

عندما فتحت له الباب بعد خمس دقائق بالضبط سألته بجفاء:

ـ ماذا تريد؟

ـ وماذا تخالينني أريد؟ أريد أن أحطم تمثالك بالطبع... وإن متأخراً، أين هو عشيقك؟

أين هو عشيقها؟ أرادت أن تقهقه بهستيرية لكنها بدل من ذلك أجهشت بالبكاء فأسرعت إلى السرير ترمي بنفسها فوقه.

بعد لحظات أحست بحركة ما كان سببها جلوس دايفد على طرف السرير قربها.

ـ حسناً... أين هو؟

لم تسمع في حياتها صوتاً أكثر خشونة أو أقل تعاطفاً. انقبض قلبها أكثر فأكثر ثم توقفت عن البكاء وهي ترى أن الدموع لا تترك أثراً في هذا الرجل الذي ليس له قلب. جففت دموعها بطرف غطاء الفراش ثم جلست.

كانت عيناه تنظران إليها بحقد، وكره، فكان أن ندمت على بكائها وضعفها الذي ظهرا أمام هذا الرجل المتكبر.

حدقت به بغضب قائلة:

ـ أين سيكون برأيك؟ ذهب طبعاً.

رأت شفتاه تزدادان قسوة وعيناه تشتعلان غضباً:

ـ متى تركك؟

فاجأها سؤاله المباشر الذي إن أجابت عنه تفوهت بالكثير،

www.elromancia.com

فكيف السبيل إلى المراوغة؟

لن تستطيع الادعاء بعد بكائها بأنها قد عدلت عن السفر إلى فرنسا.

ـ من... من قال انه تركني؟ لقد عدلت عن السفر إلى باريس. هذا كل شيء.

ـ لماذا غيّرت رأيك؟ هل اكتشفت أخيراً أنه مهتم برصيدك في المصرف أكثر من اهتمامه بمنظرك الجميل؟ يا إلهي، علي أن أضربك الآن لتتعلمي الأخذ بنصيحة من هو أوعى وأفهم منك.

ـ لن تلمسني!

زحفت مبتعدة عنه فوق السرير.

ـ لا تثقي كثيراً بما تقولين، فلدي أسباب عديدة تحدوني إلى تلقينك درساً. وافقت على رعايتك وأنا حسن النية وإذا بي أتلقى منك الشر والغباء والهرب بدل التعاون خاصة بعد أن شرحت لي جانين الظروف.

اتسعت عينا ماي بالعدائية. إنه لم يأتِ إلى الموعد الذي ضربه لها بنفسه، وها هو يتهمها بالهرب منه... ماذا شرحت له جانين؟ بأنه يشعر بأنها مصدر إزعاج له؟ بأن لديه ما يكفيه من مشاكل دون أن تكون مشاكلها فوق يديه؟ فقالت تتهمه:

ـ أنت تريد كل شيء كما تريده؟ أنت لا تهتم فعلاً بما أفعله، ولا أفهم سبب تكبدك المشقات من أجلي، الآن.

ـ وأنا لا أفهم أيضاً... لقد قمت بعمل يعجز عنه الشيطان لأقتفي أثرك إلى هنا بعد عودتي من ملبورن. وأؤكد لك أنني لم أكن في مزاج لألعب معك لعبة «الغميضة».

إذاً لقد كان في ملبورن يزور زوجته السابقة ثانية...

ـ لم أكن ألعب معك لعبة «الغميضة»... ولم أسعَ إلى جعل عملي سرياً.

ـ اوه... أتحاولين التمثيل؟ أنسيت أنك قد قلت لي إن الأمر ما زال معلقاً في الهواء، وإذا بك تختفين دون أن تعلمي أحداً حتى جانين المسكينة. ولما اتصلت بالسيدة رينهارت ذكرت لي أن صديقتك لودي قد تفيدني وكان قولها في مكانه. لأن صديقتك وحدها تعرف شيئاً عن نواياك. في الواقع ما كنت أريد أن أجوب العالم بحثاً عنك.

ـ ما كنت لتفعل طبعاً. كم من الوقت بقيت في ملبورن؟

ـ لقد ذهبت مساء السبت، ولمّا حاولت الاتصال لم أجدك فاعتقدت عندها أنك برفقة صديقك لذا شرحت الأمر لجانين. معتقداً أنك من باب اللياقة والأدب ستنتظرين رجوعي حتى نناقش المسألة التي لم أكن موافقاً عليها.

ـ صحيح؟... حسناً... أنا... ما اعتقدت موافقتك مهمة.

ولم تعد تهتم بأنه قد أرسل رسالة حول الغاء موعد العشاء معها، وأن جانين بكل بساطة لم تبلغها بالرسالة. لا شك أن جانين تعرف تماماً كيف تلعب الأدوار القذرة! ولكن لا داعي لتخبره بما فعلت جانين لأنه لن يصدقها.

ـ ماذا ستفعلين بعد أن تبدّد حلمك بشأن لاري تيرنت؟

ـ لم يتبدد شيء، أريد العودة إلى منزلي هذا كل شيء.

ـ هل تعتقدين ذلك؟ كم ستمكثين من الوقت حتى تتيقني مما تريدين فعله؟

عضت ماي على شفتها. لقد وقعت في فخ يتعذر تجنبه ويصعب تحويره. فها هي الآن غير قادرة على العودة إلى كانبيرا قبل

www.elromancia.com

أن تسدّد فاتورة الفندق وذلك حتى يأتيها المال. ونظرت إلى أظافرها فقالت:

ـ أعلم ما أريده، لكنني أريد بحث أمر ما مع صديق قبل عودتي.

زاده ردّها غضباً فمدَّ يده وشدَّها إليه جاذباً إياها عن السرير ليُوقفها على قدميها.

ـ عمَّ تتكلمين بالله عليك؟ أريد الآن أن تذكري الوقائع والأرقام لا الأقوال. ما الذي تريدين بحثه ومع من؟

كانت أصابعه تضغط عليها حتى آلمتها مرجعة الدموع إلى عينيها. حاولت التخلص منه دون جدوى بل كان أن ازدادت قبضته إحكاماً وقسوة. فكرت بلاري الذي تخلّصت منه البارحة بسهولة عندما كان يمسكها هنا قرب السرير. مع لاري كانت بأمان أما معه فهي غير آمنة.

ـ اتركني! أنت تؤلمني!

ـ إذاً أجيبي عن سؤالي، ماذا ستفعلين؟

ـ لا شيء، أحتاج إلى بعض المال لأسدّد فاتورة الفندق إلى أن أجد عملاً.

ـ لماذا؟ أين مالك؟

ـ ولماذا تظن؟ أنت ذكي. لقد أخبرتني أن لاري لا يريد سوى... سوى... ولكن لا عليك، سأقترض المال من لودي.

دفعها عنه بقوة فوقعت على السرير.

ـ إذاً لقد أعطيته مالك كله... يا إلهي، يا لك من غبية دون عقل. أرجو أن يكون ما حدث درساً مفيداً لك.

ـ لا تقل إنك تكترث بي. فأنت لم تحبني قط... وأنا أعترض

على دفعك إياي على هذا النحو.

ـ هي الطريقة الوحيدة لتعقلي وتفهمي. حسناً... لن تقترضي المال من لودي كايس. وأنا لن أقرضك سنتاً واحداً لأنني لا أثق بك. لقد فشلت في السيطرة عليك لذا لن أخاطر ثانية. سترافقينني إلى «مراعي لوغان» لتبقي تحت ناظري.

ـ ماذا؟ لا لن تجبرني.

ـ أتظنين ذلك؟ لعلك تريدين مني الاتصال بأمك لأعلمها بتصرفاتك الرعناء الأخيرة: الهرب مع رجل تكادين لا تعرفينه، وفقدك طهارتك معه ومالك أيضاً.

ـ لن تفعل هذا... هذا... أمر خسيس ما قلته غير صحيح... لاري لم... لم يكن الأمر كما تقول... إنه...

ـ من تخدعين هذه المرة؟ لقد شهدت منذ قليل نهاية مغامرتك ولي القدرة على تخمين ما جرى. أتمنى أنك لست باقية على حب ذاك الوغد الذي تركك بعد أن سرق مالك والذي ما زلت تدافعين عنه.

ـ أنا أدافع عن نفسي... اخرج من غرفتي، لا أريد أن تساعدني... سأتصل بلودي.

ـ أنا من سيملي عليك الشروط. وستلتزمين بما أقول وإلا، وهذا وعد، سأرسل إلى أمك وزوجها رسالة تملأ آذانهما وتعيدهما على الطائرة التالية. فأيام حريتك قد ولت، وعليك الآن الاستقرار والقيام ببعض الأعمال الخاصة بي في «مراعي لوغان»... أنت طابعة ماهرة. ذهابك إلى «مراعي لوغان» سيبعدك عن الشارع على الأقل.

صاحت به شاهقة:

www.elromancia.com

ـ كيف تكلمني بهذه الطريقة! أنت لا تُطاق. أنت لا تترك مجالاً لأدافع عن ذاتي أو لأقول كلمة.

ـ اهدئي الآن، سيكون لك الوقت الكافي في «مراعي لوغان» لتقولي ما تريدين. ستأتين معي شئت أم أبيت.

علمت ماي أن لا خيار آخر أمامها فقالت:

ـ حسناً سأذهب لكن اتركني الآن بسلام قليلاً؟

ـ أخشى أن لا... لك خيار من اثنين إما العودة إلى الديار أو مشاركتك هذه الغرفة.

حدقت فيه مشدوهة:

ـ ماذا... مذا تعني؟

ـ أعني أنني لا أثق بك، ولن أدع لك سبيلاً آخر للاختفاء.

نظر إليها بسخرية فاحمر وجهها وأشاحت بنظرها عنه بسرعة وقالت بصوت مرتجف:

ـ سأرافقك الآن.

ـ عظيم... وضبي أغراضك إذن.

أشعل سيجارة ثم جلس يراقبها.

أثناء العودة جنوباً راحت تفكر في ما ينتظرها رافضة الحديث معه. كرهت ما حكم به عليها. لكنها هي التي جلبت الخزي على نفسها. كيف السبيل إلى إقناعه ببراءتها وهي ولاري قد مكثا في غرفة واحدة؟ هي على ثقة من أن دايفد لو شاركها الغرفة لما تركها وشأنها ولما كان لها فرصة للنجاة منه بنسبة واحد من المليون. أرعبتها هذه الفكرة. وقادها تفكيرها إلى «مراعي لوغان»... التي لن تكون فيها آمنة وهي وحدها معه. وجانين... اوه جانين ستحضر إلى هناك دون ريب ووجودها سيغضب جانين. لكن هل

باليد حيلة؟

سألته عندما ابتعدا عن طريق «بونجندور»:

ـ ماذا ستقول لجانين بشأن إقامتي في منزلك؟

نظرت إلى وجهه فوجدته قاسياً ومتحفظاً. كان الوقت متأخراً وهي تعبة إذ لم يتناولا اثناء الطريق إلا بعض السندويشات والقهوة. نظر إليها بسرعة قائلاً:

ـ أتقصدين هل سأقول لها بأن حبيبك تخلى عنك؟ سأترك الأمر لك يا ماي. أخبريها ما تشائين، ولكن لا تستغربي إذا خمنت كيف انتهت بك الأمور. لأنها تعرف لاري جيداً.

اوه... يا إلهي هذا صحيح... جانين ذكية، وهي فعلاً تعرف الكثير. أما أنا فقد وقعت في فخ عميق سيودي بي إلى «مراعي لوغان» مع دايفد لوغان.

كان المنزل الأبيض العريض، يلقي ظلالاً سوداء وهما يدنوان من الشرفة الواسعة. تبعته إلى ردهة واسعة ومنها دخلا إلى المنزل حيث أضاء أحد المصابيح.

ـ استخدمي هذه الغرفة يا ماي.

كانت غرفة نوم واسعة فيها سرير عريض مزخرف مغطّى بغطاء مطرز رفعه دايفد ليكشف عن شرشف جميل يغطي بطانية قطنية بلون الليمون.

ـ الفراش جاهز... أعتقد أنك تعبة.

كانت تظن أنها قادمة إلى سجن لكن هذه الغرفة النابضة بالحياة وتلك الشرفة السّاحرة أبعد ما يكونان عن السجن وراحت تنظر، وهي واقفة في الشرفة، إلى الليل ونجومه المضيئة. إنه عالم آخر

www.elromancia.com

ساحر. آهٍ لو تنتمي إليه.

كانت تعلق ثيابها في الخزانة الخشبية الواسعة عندما عاد دايفد ليعطيها منشفتين صفراوين للحمام ويقول لها:

ـ ثمة حمام على بعد بابين من هنا، على اليسار من بابك... تصبحين على خير.

خرجت بعد عشر دقائق مرتدية غلالة النوم حاملة المنشفتين على ساعديها فقصدت الباب الذي أشار إليه وفتحته وإذا بها تجد نفسها في غرفة نومه. صُدمت متسمرة في مكانها وشكّت أنه تعمّد تضليلها وقال لها بسخرية:

ـ ما الخطب؟ هل وجدتِ غرفتكِ موحشة بعد أن اعتدت وجود رجل يشاركك فيها؟

احمر وجهها بألم، لكنه لم يلبث أن غدا أبيض وهي تتمتم:

ـ ألم تقل أنه الحمّام؟

وضع يده على ذراعها اليسرى، فأجفلت منه:

ـ لقد قلت على يسارك، يا ماي. هل فقدت معرفتك بالاتجاهات؟

صرّت على أسنانها... هل فعلت هذا حقاً؟ ورفعت عينيها إلى وجهه غاضبة من السخرية التي تعتليه. ثم ودون توقع جذبها إليه كراقص يقنع شريكته المتمردة بالدخول بين ذراعيه. تناثر كل شيء أرضاً، فرشاتها منشفتاها بيجامتها وأصبحت هي بين ذراعيه شاهقة من هول المفاجأة غير المترقبة، منقطعة الأنفاس، متهدّجة. حدث ذلك وكأنها تقع في بركة ساخنة وسط ظلام عميق. أربكها وأفقدها توازنها، استندت إليه للحظة طويلة غير واعية. ولكنها أجفلت عندما همس لها:

ـ هل تقضين الليل معي؟

ـ لا... لا...! اتركني فوراً أو سأصرخ بأعلى صوتي فأهدم المنزل فوق رأسك!

قاومته، ثم ابتعدت عنه، وراحت تجمع أشياءها عن السجادة الخضراء التي تغطي أرض غرفته التي بدت كغابة هو الوحش الوحيد فيها... قال لها ساخراً:

ـ من سيسمع صراخك؟

نهضت عن الأرض بعد أن جمعت أغراضها ثم نظرت إليه بعيني وسعهما الخوف. لكن الغرفة فجأة مادت بها حتى أوشكت على الوقوع أرضاً لو لم يسندها هو. شعرت بالدم قد جفّ في وجهها وبشرتها قد غدت رطبة باردة، والغرفة راحت تختفي عن ناظريها.

عندما استعادت وعيها كانت مستلقية فوق سرير دايفد وهو منحني فوقها يحمل كأساً في يد ويرفع رأسها باليد الأخرى ليضع الكأس على شفتيها.

ـ هيا... اشربي قليلاً (قال لها بصوت قاس، فاقد الصبر).

ارتشفت قليلاً من الماء بسرعة ثم دفعته بعيداً عندما سعلت فكان أن وقع بعض الماء على جسدها. شهقت ثم قاومت لتجلس على السرير المزدوج لكن رأسها الذي عاد إلى الدوران جعلها تستلقي على ظهرها ثانية ويدها على عينيها. فقال لها بنعومة، وهو يملس شعرها إلى الخلف.

ـ لا تستعجلي... هل يصيبك هذا دائماً؟... هل يظهر باستمرار؟

أشاحت بوجهها عنه من الإحراج وهي تقول:

www.liilas-romancia.com

ـ أنا... تعبة ليس إلاّ... أعدني إلى غرفتي.

ـ استرخي قليلاً ليعود إلي جسدك نشاطه... أنت أكلت اثناء عودتنا طعاماً لا يكفي عصفوراً. سأحضر لك بعض البيض المقلي.

ـ لا يهم... لا أريد شيئاً... فقط أن...

ـ اصمتي... ستطيعيني وبناء على ذلك ستبقين في السرير حتى أحضر لك البيض وبعد ذلك سأراقبك وأنت تأكلينه ومن ثمّ أُرجعك إلى غرفتك بعد أن اطمئن إلى وضعك الصحي. لا تنهضي لئلا تقعي.

ما إن تحرك مبتعداً حتى دفعت نفسها على أحد كوعيها، فأنزلت قدميها بهدوء إلى الأرض وإذا بالغثيان يعاودها دون أن يصيبها الإغماء. وقفت حذرة ثم حملت المنشفة والبيجاما وراحت تجرّ قدميها المرتجفتين جراً إلى أن وصلت إلى غرفتها، لكنها لم تجد قفل الباب فحدقت بحيرة حولها، ثم خرجت إلى الردهة ثانية واستدارت إلى اليسار نحو الحمام الذي ما إن دخلته حتى أقفلت الباب وراءها لتشرع في الاستحمام.

سمعت صوت دايڤد يأتيها من وراء الباب.

ـ لن تستطيع الدخول. وأنا تحت الماء الآن.

ـ افتحي قفل الباب! إذ كيف السبيل إلى الوصول إليك فيما لو أغمي عليك؟

ـ لن يُغمى علي.

وقفت تحت الدوش ثم أغلقت الستارة الصفراء وراءها وعندما خرجت من الحمام وجدته ينتظرها حيث راحت عيناه تتأملان شعرها الرطب ووجهها الشاحب وعينيها المظللتين بالاسوداد.

ـ وضعت البيض على الطاولة قرب سريرك... هل ستأكلين

أم أدخل لأطعمك.

ـ سآكل...

ومرت أمامه متوترة مستعدة للهرب لو حاول إمساكها. ومع ذلك أين المفر؟ لمس دايڤد ذراعها فشعرت بالفزع ثانية؛ فقال بخشونة ناظراً إلى عينيها وقد بللتهما الدموع.

ـ ما الأمر الآن؟

ـ أريد الذهاب إلى البيت.

تغير شيء في وجهه، فمال إلى الخلف على الحائط ماداً ذراعه إلى فوق.

ـ لن تذهبي إلى البيت يا ماي. أرجوك اهدئي ودعي عنك هذه الفكرة السوداء فكرة اغوائي لك.

ـ وكيف ذلك؟ وأنت لا تفعل سوى ما يخيفني أنسيت ما طلبت مني؟

ـ نعم أنا لا أنكر أنني قد طلبت منك قضاء الليل برفقتي لكنك أنت التي أتيت إلى غرفتي عمداً أم خطأً ما كنت أدري. ولا تنكري أنك كنت مستلقية بين ذراعي، ولست ألام على اعتقادي أنك راضية، أما الآن وقد هدأت أعصابنا فلننس ما مضى... كلي البيض... ثم نامي الليلة ويوم غد سأوصي السيدة ويبستر بالاعتناء بك وبإيصال طعام الفطور إلى سريرك.

ـ شكراً لك...

شعرت ماي بالارهاق والتعب حتى عجزت عن قول شيء بعد ذهابه، أغلقت الباب ثم جرّت كرسياً ووضعته خلفه، ثم اتجهت إلى حافة السرير لتناول الطعام وما انتهت ودخلت الفراش حتى غطت في نوم عميق.

عندما استيقظت صباحاً رأت الشمس مُشعة والغرفة خلاّبة بستائرها الصفراء وجدرانها البيضاء، وسّجادتها الخضراء.

ولمّا انتبهت إلى الكرسي الموضوع خلف الباب انزلقت من الفراش لتبعده وما هي إلا دقائق، حتى قرع الباب وسمعت صوت امرأة تسأل:

- هل لي بالدخول؟

كانت هذه مدبرة المنزل، السيدة ويبستر امرأة حسنة المظهر في الخمسين من عمرها تقريباً، ترتدي مريلة زرقاء فاتحة وحذاء أبيضاً. شعرها البني يخالطه بعض الشيب، أما وجهها فممتلىء وناعم. كانت الصينية التي تحمَلها مليئة بعصير الفاكهة والتوست والبيض وإبريق من الشاي. وضعتها على طاولة صغيرة ثم نظرت إلى ماي مبتسمة:

- هل نمت جيداً آنسة دانتون؟ آمل أن تكون شهيتك للطعام جيدة هذا الصباح.

- يبدو الطعام لذيذاً سيدة ويبستر، شكراً لك.

خرجت بعد أن تأكدت أن ماي قد شرعت في الأكل. يا ترى ماذا أخبرها دايڤد؟

لا يبدو أن مدبرة المنزل تنام في المنزل. وتمنت مجيء جانين ليطمئن قلبها من عدم بقائها وحيدة معه، لكنها أمنية لا تريد أن تتحقق إذ كيف ستصبر على تلك الأفعى.

لم يكن دايڤد موجوداً في المنزل عندما خرجت من غرفتها لتأخذ الصينية إلى المطبخ.

قالت لها السيدة ويبستر:

- خرج السيد لوغان ليقوم ببعض الأعمال ولم يشأ ازعاجك.

عظيم. إذ من من الخير لها ألا تراه إلا قليلاً. بعد ذلك عادت إلى غرفتها لترتدي ثيابها، ثم خرجت إلى الحديقة فاتخذت الممر الدائري لتصل إلى فسحة خضراء مظللة بأشجار الصنوبر، تدفعها رغبة قوية في تأمل ما وصفه النص الذي طبعته، بدا لها كل شيء مألوفاً إلى حدٍ ما. تفيأت تحت ظل شجرة ضخمة ثم راحت تتأمل البستاني والمنزل العريض وشرفته الواسعة المظللة بالنباتات والعرائش. أعجبها المنزل إلى حد كبير ومع ذلك شعرت بأنها ستستصعب بقاءها فيه حتى تحين عودة أمها وزوجها التي قد تستغرق شهوراً، فكرت في أمرها فرأت أن عليها العودة إلى كانبيرا للبحث عن عمل جديد إذ كيف ستبقى هنا؟ هل يعتقد دايڤد حقاً أنها قد تقنع ببقائها فقط لتطبع له بعض الأوراق؟ يبدو أنه يراها كما رآها لاري تيرنت ابنة زوجة رجل ثري لا تحتاج إلى عمل!.

قالت لنفسها: «سوف أتحدث معه بالأمر». تابعت سيرها تحت الأشجار ثم توقفت لتتأمل الأراضي الغنية بالمراعي المنحدرة نحو النهر. ورأت الأغنام ترعى عند طرف المراعي قرب النهر كما رأت أبنية وأكواخاً واسطبلات ومبنىً كبيراً ينام فيه العمال تمتد خلفها الجبال الشامخة إلى السماء. جعلها المنظر الخلاب تفهم ذاك الحب الذي طالعها من خلال كتاب دايڤد.

عادت إلى المنزل وهي حائرة ماذا ستفعل؟ ودخلت إلى غرفة الجلوس، فوجدت على إحدى الطاولات رسالة لها:

«ماي... اقترح عليك استخدام غرفة الطعام الصغيرة مكتباً لك. ثمة آلة كاتبة وبعض الأوراق التي عليك طبعها...

د. ل»

www.elromancia.com

قضت يومها في الطباعة. عند الخامسة اغتسلت ثم ارتدت ثيابها استعداداً للعشاء معه.

لكنه لم يعد إلى المنزل وحده بل برفقة رجل متوسط العمر يريد شراء بعض الخراف التي لا يهمه في الكون شيئاً آخر غيرها.

تناول الرجلان بعض الشاي على الشرفة قبل العشاء وعندما انضمت إليهما ماي. قدمها له ببرود على أنها ماي دانتون التي عليه رعايتها، ثم تابع تجاهله لها. تلك الأمسية بقي الرجل في المنزل للعشاء والنوم وقد طال الحديث بين الرجلين ثم امتدَّ ورغم اعتيادها على البقاء بعيدة عن أحاديث اصدقاء والدتها إلا أن الأمر بدا الآن مختلفاً. فقد أرادت الاختفاء وهذا ما فعلته إذ ما فائدة جلوسها معهما في وقت لا تستطيع فيه مناقشته بشأن مشاكلها.

شعرت بعدم الرغبة في النوم، فخرجت إلى الحديقة تسير تحت أشجار الصنوبر وسط الظلام ولم يكن القمر قد أطلَّ إلى السماء بعد، لكن تراءى لها من خلف النهر اضواء الأكواخ.

تساءلت عما إذا كان للنهر جسر وعما إذا كان بمقدورها الوصول إلى هذا الجسر. راحت تحث الخطى مقتفية آثار الإطارات التي صعُب رؤيتها على ضوء النجوم وإذ بها تجد أن المسافة أبعد مما تخيلت، والطريق أوعر. بعد فترة من المسير ألقت نظرها إلى المنزل فرأته تحت أنوار القمر الذي أطلّ منيراً وعندما بلغت البوابة التي تقود إلى الباحة خلف المنزل. شاهدت ظلاً معتماً يتحرك وأدركت وقلبها يرتجف، أنه دون أدنى شك دايفد... يبحث عنها.

●●●

٧ ـ أسيرة بين ذراعيه

قال دايفد وهو يدنو منها:

ـ كنت اتساءل عما تنوين فعله.

ـ اعتقدتك لا تلاحظ وجودي.

كانا تحت ظل شجرة صنوبر كبيرة، وضوء القمر يلقي أشعته الفضية على وجهه وشعره، بينما كانت عيناه في الظلال. قال لها:

ـ لقد كنت ألاحظك... هل كنت تتوقعين أن اتبعك...

ـ لا لم أكن أتوقع... بل لم أرغب في مجيئك.

ـ ألم تشعري بالهجر؟

ـ أفضل البقاء وحدي على صحبتك سيد لوغان، ولا تنسَ أن وجودي في هذا المكان فكرتك لا فكرتي وأنك في الواقع قد ابتززتني كي تأتي بي إلى هنا.

ـ لا تقلقي... لن أنسى هذا.

وهي قريبة منه على هذا النحو تذكرت ما حدث الليلة الماضية. عندما كانت مع الرجلين شعرت بأنها منعزلة ومطمئنة وآمنة أما الآن فقد عادت إليها ذكرى شيء آخر فتحركت مبتعدة وهي تشعر بالقلق، واستدارت نحو البوابة. فقال لها وقد وضع يده على ذراعها:

ـ توقفي...

www.elromancia.com

- ماذا تريد؟

- لا شيء سوى سؤالك عن يومك.

لاحظت من البسمة الخفيفة على فمه أنه يعتقد بأنها كانت تتوقع شيئاً آخر.

- كان جيداً والسبب عدم وجودك فيه.

- جيد، لقد ظننت أنك بحاجة إلى شيء يشغلك. وتخيلت أن قليلاً من العمل سوف يبعدك عن التفكير بحبك المحطم.

- حقاً!

ما أدهشها أنها لم تفكر للحظة واحدة بلاري أو بتلك الأيام القليلة التي قضياها معاً. بدا لها ذاك الإنسان وكأنه قد اندثر إلى الأبد من حياتها.

- العمل دواء شاف لكل الآلام.

- يبدو أنني مع مضي الوقت في هذا المكان سأحتاج إلى مزيد من العمل لأنك أنت مصدر ألم دائم لي سيد لوغان.

ساد صمت قصير تبعه صوته البارد:

- لن أرد بشيء على قولك هذا. لكني أحذرك في المستقبل آنسة دانتون من التحدث مع وصيك بهذه الطريقة.

احمرت وجنتاها، وشعرت برجفة مثيرة تجتاح أعصابها:

- كيف ستمنعني؟ قد تجبرني على الإقامة في منزلك لكنك لن تُقفل فمي. لو شئت للفقتُ عنك أكاذيب لا يحصى عددها.

أطبقت يده على معصمها وهو يجذبها إليه بقوة وغضب.

- أنت فاسقة صغيرة يا ماي دانتون، اعلمي أنه لولا الوعد الذي قطعته لأمك لما سمحت لك أن تضعي قدماً في بيتي.

- لو عرفتك أمي حق المعرفة لما طلبت منك ما طلبت.

- لا؟ أنا الآن على يقين من أن أمك فعلت الصواب.

- وماذا تعني بقولك هذا؟

- أعني أنها كانت تفهم أنك متخلفة عاطفياً لذا رغبت في أن ترميك في طريقي قبل أن يفوتك القطار.

شهقت ماي متأثرة بكلامه، ومع ذلك فقد كانت في قرارة قلبها تعرف أن في قوله بعض الحقيقة. فقد قالت أمها ان وجودها معه قد يعيد إليه بعض الثقة بالنساء. وكم كانت مخطئة! فهو يشك فيها أكثر مما يشك بسائر النساء:

- لو لم ترمي نفسك على لاري تيرنت لرميت نفسك علي.

- لا حاجة بي إلى ذلك لأنك تستغل كل فرصة لترمي نفسك علي.

شدّها إليه حتى كاد يسحق عظامها.

- أيتها المحرضة الصغيرة السافلة!

- أنت متوحش!

التقطت أذنه بين أسنانها وعضتها بقوة... ثم... حبست أنفاسها وهي تسمع صراخ ألمه. فقالت بغضب:

- هذا سيعلمك أن لا تلمسني بعد الآن.

- يا إلهي... ما كنت لأحسب فتاة لها هذا المظهر البريء تصبح مثيرة على هذا النحو... تعالي.

- اتركني... فأنا أريد أن... أن ابتعد عنك.

- أوَ تظنينيّ أصدقك؟ أعرف ماذا تريدين...

- لا... لا تفعل هذا!

وامتلأت ماي ذعراً فهي لا تعرف كيف تتصرف في مثل هذه الحالات. البارحة كان الحظ حليفها إذ أغمي عليها. أما الآن فما

www.elromancia.com

من شيء قد يعينها. وبدل أن تقاوم تركته يجذبها إليه بقوة مضاعفة حتى أصبحت أسيرة بين ذراعيه خائرة القوة، فاقدة احترام ذاتها.

وسمعته بعد قليل يتمتم:

ـ تمالكي نفسك... ولندخل إلى المنزل.

ودفعها أمامه، بينما هي ما زالت تحت تأثير الصدمة، تترنح ماشية باتجاه المنزل المضاء الأنوار في غرفة الجلوس وتساءلت ما إذا كان الضيف قد ذهب إلى فراشه أم لا. وماذا بالضبط يريد منها دايڤد.

وفي ظلمة المنزل همس لها:

ـ سأذهب إلى الحمام... اذهبي مباشرة إلى غرفتي...

تركها... مشلولة الحركات مسمّرة في مكانها تصغي إلى دوي طرقات قلبها وإلى تهدُّج أنفاسها المتلاحقة. فجأة تلاشت الإثارة من جسدها فقررت عدم الذهاب إلى رجل لا يحترمها ويظن بها أسوأ الظنون معتقداً أنها كانت على علاقة مع إنسان آخر ولكن ماذا عليها أن تفعل؟ فلم تكن تعرف أين تذهب.

وأخيراً قررت القيام بعمل مجنون. فذهبت بهدوء إلى غرفتها، وتركت الباب مفتوحاً قليلاً، ثم تسللت تحت السرير. وسمعت دايڤد يخرج من الحمام ويمر أمام بابها فبقيت حيث هي، مستلقية على ظهرها. وبعد قليل سمعت صوت الباب يُفتح.

ـ ماي؟

ناداها بصوت خفيض فلم تجبه ولما اضاء النور قطعت أنفاسها إلى أن اطفأه وهو خارج. بقيت حيث هي متصلبة إلى أن استغرقت في النوم دون إرادة منها.

في ساعة من ساعات الليل استيقظت فأسرعت إلى الخروج من تحت السرير محتقرة نفسها، كارهةً إياها أكثر من كرهها له. وذهبت إلى الحمام متحركة ببطء وهدوء ثم عادت وصعدت إلى فراشها لتغرق في دفء أغطيته. في الصباح... كان دايڤد قد ذهب مع المشتري قبل أن تستيقظ.

نصحتها السيدة ويبستر، بعد أن شاهدت ما هي عليه من اضطراب أن لا تمضي يومها داخل المنزل في العمل. قررت أن تخبره عند عودته بأنها تريد مغادرة المكان وهو لا ريب بعدما حدث البارحة، سيوافق. خرجت إلى الشرفة لتمضي وقتها بقراءة كتاب إلى أن أتت السيدة ويبستر تخبرها بأن الغداء جاهز.

عندما دخلت غرفة الطعام فاجأها وجوده هناك. وسحب لها كرسياً لتجلس عليه، رغم ابتسامته بدت عيناه عدوانيتين. قال لها بعد أن جلس في الكرسي الذي يقابلها:

ـ تفضلي...!

وضعت أقل كمية من السلطة في طبقها وقطعة من اللحم، وبعد أن صب طبقه وتناول الشوكة والسكين نظر إليها عبر الطاولة سائلاً:

ـ ماذا حدث لك الليلة الماضية؟

واحمرت وجنتاها بقوة، ثم شحبت وهي تفكر برد لعين تقذفه في وجهه بردعه ويوقفه عند حدّه.

كرّر السؤال:

ـ حسناً لم غيّرتِ رأيك؟

ـ لم أغير رأيي... أنا... أصلاً لم أكن أنوي... أن... أن...

www.elromancia.com

ـ أن تدخلي غرفتي؟ ومن تكلم عن النيات؟ لقد أردنا بعضنا هذا كل ما في الأمر. صدقيني إنني ما نويت شيئاً. لا أنكر إعجابي باللعبة لكنك أصبتِ عندما لم تكمليها، فأنا كنت سأتوصل إلى النتيجة نفسهاإذ كنت سأرسلك إلى غرفتك دون أن المسك.

ابتلعت ماي الطعام بصعوبة... أي نوع من الفتيات يظنها؟

انفجرت صائحة:

ـ لا تقلق، الموت عندي أهون من حدوث شيء بيننا!

ـ لا تأخذي الأمور بهذه الطريقة! المسألة أننا أردنا بعضنا.

دفعت كرسيها إلى الخلف:

ـ خلتُني أكرهك من قبل سيد لوغان. أما الآن فأكرهك كرهاً استطيع أن...

ـ كفى تمثيلاً ودجلاً ولنناقش بموضوعية. أنتِ اسوأ عدو لنفسك يا ماي... اجلسي وكلي. إن كنا سنعيش معاً، يجب أن نتفق بطريقة ما.

وقفت ممسكة ظهر الكرسي:

ـ نحن لن نعيشَ معاً! أريد العودة إلى كانبيرا لأجد وظيفة... لا أستطيع البقاء هنا...

ـ وأنا لا أستطيع مراقبة فتاة رعناء غير جديرة بالثقة في كانبيرا. اتهمتني بالتهديد البارحة. وها أنا الآن أحذرك من التهور كما أعلمك أنه لم يحدث شيء البارحة ولن يحدث شيء لاحقاً. سأكون حذراً في تصرفي وإن لم تحذري أنت.

بالنسبة له لم يحدث شيء أما بالنسبة لها فقد حدث الكثير مما لا تعهده في حياتها. يتكلم وكأنها فعلت كل شيء وسبّبته وينسى ما فعله هو. ورغم ما فعله ما زال يعتبر نفسه وصياً عليها. ولكنها لا

تستطيع أن تتركه يخبر أمها عن مغامرتها مع لاري. إنها الوحيدة التي تعرف ما حدث. خطر لها أن تسبقه في الكتابة إلى أمها وبذلك لن يقدر على تهديدها، وتستطيع عندها أن تقول له «اذهب إلى الجحيم» وقالت له بعد لحظات:

ـ حسناً... سأبقى... لكن حذار... فأنت لست الوحيد الذي قد يخبر أمي بعض الأشياء.

ـ إذاً اجلسي وتناولي غداءك وكوني متمدنة. بإمكانك مرافقتي إلى المرعى بعد الظهر، لنذهب بعد ذلك إلى المنزل الريفي لنرى جانين. انها على كل، ابنة زوج أمك فأنتما وإن كنتما لا تنسجمان عليكما التعارف أكثر فأكثر. وسأطلب منها البقاء هنا لبضعة أيام بصحبتك.

لم تحتج فرغم كرهها لهذه الفكرة إلا أن ذلك يعني عدم بقائها وحيدة ولو للحظة مع دايفد. فلو أراد أن يتلاعب فليتلاعب عندها مع جانين.

بعد الظهر قاد السيارة وهي معه عبر المراعي الواسعة قبل أن يذهبا إلى المنزل الريفي، ولم يعبر بها الجسر بل اجتازا مياه النهر الضحلة.

قال لها وهما يقطعانه:

ـ منذ مئة سنة كان هذا النهر مليئاً بحيوانات «البلاتيبوس» وسمك «القد»...

تابعا سيرهما إلى الضفة الأخرى عبر أشجار الصفصاف إلى المباني التي شاهدتها في الحديقة، بدا دايفد فخوراً بمراعيه عندما أراها السقيفة الكبيرة ذات القاعدات العشرة وسقيفة الماكينات الواسعة والاسطبلات الحديثة. التي رأت فيها حوالي الستين

www.elromancia.com

جواداً، وعدداً من الكلاب التي تحمي الأغنام.

فيما بعد توقف ليتحدث مع رجال كانوا ينقلون قطيعاً من الغنم إلى مرعى آخر، وارتاحت ماي لما شاهدته وسألته وهما يكملان سيرهما:

ـ هل آل مانتغ القدامى الذين كانوا منذ البداية، اقرباء لأدوارد مانتغ؟

ـ أجل... فزوج أمك سليل مباشر لهم. ومنزل جانين الريفي جزء من المباني الرئيسية. وقد جدده ادوارد لأجل جانين، وبنى لها مشغلاً وفرناً للخزف في الفناء الخارجي. وآل مانتغ احتفظوا بهذا البناء فقط مع حوالي عشرين فداناً من الأرض حوله عندما باعوا الأراضي وانتقلوا... وعلى فكرة... جانين صانعة خزف موهوبة، لست أدري إذا كنت تعرفين ذلك وهي على الأرجح ستُرينا بعض أعمالها... أتعلمين هي لم تسامح أسلافها لأنهم باعوا هذه الأرض لذا فهي متعلقة بالمنزل متمسكة به، لكنني أعتقد أنها لن تبقى أسيرة المنزل لأنها فتاة جذّابة...

عندما سمعته يمدح جانين شعرت بغيرة غريبة أبعدتها بسرعة عن نفسها وهي تتساءل ما إذا كان يخطط لوضع حد لعزلة جانين.

تابع كلامه بقليل من المرارة:

ـ أتمنى إنجاب بعض الأطفال ليكملوا المسير من بعدي، لكنني ما كنت محظوظاً فزوجتي لم ترغب في إنجاب الأطفال.

ونظرت إليه ماي متعجبة فهو لم يذكر زوجته قبل الآن:

ـ انتما... مطلقان... أليس كذلك؟ وهي... زوجتك... ألم تتزوج ثانية؟

ـ لا...

لو أملت أن تعرف شيئاً عن زواجه، فقد خاب أملها، لأنه لم يضف كلمة أخرى ولم تجرؤ على أن تسأله السؤال ذاته. لكن لماذا تهتم؟ إنها لا تدري...

عادا لعبور الجدول المتعرج ثانية، ثم تبعا مجرى السياج وعبرا البوابة، وبعد ذلك بدا لهما منزل جانين.

بدت جانين جذابة جداً في كنزتها البيج، استقبلت دايڤد بحرارة وعاطفة بينما لم تُلق ولو بنظرة إلى ماي. اثناء خروجهم إلى الشرفة قالت له:

ـ يبدو أنك قد روضت الفرس الجامحة، أين وجدتها؟

استدارت إلى ماي بابتسامة قاسية:

ـ لقد شغلت الجميع بالبحث عنك يا ماي وهذا أمر لم يكن حسناً منك... أليس كذلك؟

ـ لم يبحث الجميع عني طبعاً وأنت خير دليل.

فاضت عينا جانين بالحقد والكره واستدارت إلى دايڤد.

ـ تفضل بالجلوس. سأحضر لكما بعض القهوة. علي إنجاز عملي. إلا أن لا بأس بالرّاحة قليلاً.

جلس الجميع على الكراسي الموجودة على الشرفة، وانتظر دايڤد إلى أن جلست ماي قبل أن يجلس... ما إن اختفت جانين في الداخل حتى قال لها دايڤد وفي عينيه شيء من السخرية:

ـ هل ستشربين معنا القهوة يا ماي؟

ـ لا، لا أريد.

ـ لماذا لم ترفضي؟ ادخلي واطلبي من جانين كوب عصير.

نهضت ماي فوراً. ثم دخلت إلى مطبخ صغير حيث كانت جانين، التي قالت لها بجفاء:

- ماذا تريدين؟

- هل لي بكوب عصير أو ما شابه يا جانين؟ لا أريد القهوة.

أشارت جانين إلى البراد...

- خذي ما تريدين بنفسك.

لاحظت ماي أن جانين تراقبها وهي تجد لنفسها زجاجة مياه غازية وتغلق البراد وقالت لها جانين بغضب:

- لماذا أتيت إلى «مراعي لوغان»؟ أعتقد أنك تخططين للإيقاع بدايڤد بما أن علاقتك بلاري قد فشلت.

- هذا ليس صحيحاً.

وحدقت فيها جانين:

- كلما رأيتك كلما ازددت كرهاً لك. لماذا لا تبقين في كانبيرا بعيدة عن طريقنا؟ لقد قلت لك ما أريد... وأنت تعلمين رأي دايڤد بك. لديك شقة عودي إليها.

رفعت ماي حاجبيها وقالت بنعومة وهي تتجه إلى الباب:

- لقد قلت إنك ستعتنين بها بنفسك.

تبعتها جانين حاملة الصينية. شربت ماي زجاجة المياه الغازية بينما كانا يتناولان القهوة. قال دايڤد:

- تبدين مشغولة يا جانين.

- أجل... كنت أعمل على صنع مجموعة تماثيل القطط... السيامية... لرجل معجب بعملي يريدها لشقيقته، ولقد وعدته بإنجازها قبل عيد ميلادها. أنا الآن في طور إعداد مجموعة أخرى فيما لو حدث شيء للمجموعة الأولى... أريد العمل أن يكون متقناً، فالله يعلم كم أتقاضى ثمناً لها.

- أتمنى لك التوفيق. لن نأخذ من وقتك.

- وماذا تعني يا دايڤد؟

- ماي ستقيم فترة في «مراعي لوغان» وبدا لي أنك قد ترافقينها هناك، ولكن انسي الأمر الآن.

كادت ماي تغرق بالضحك لمرأى جانين وقد تفاعل في وجهها تعابير عديدة: الصدمة، الغضب، الاحباط تجمعت كلها في آن.

- سأزوركما متى وجدت لحظة من فراغ. يؤسفني أن تسأمي في الريف.

فابتسمت ماي بخبث وهي تهز رأسها:

- لا عليك، ليس الأمر بذي بال.

وقال دايڤد «ستتركك للعمل الآن».

سألتها ماي:

- هل وصلت أية رسالة من أمي منذ... أن... غادرت الشقة يا جانين؟

- ليس حسب علمي.

- كنت آمل بأن أحصل على العنوان لأبعث إليها برسالة هل لديك عنوان يا جانين؟

- ليس قبل أن تصلني رسالة من أبي... وما هو الشيء المستعجل؟ اعتقد أنك تريدين بعض العون بعد تركك العمل.

- أنا لا أحتاج إلى شيء ما دام دايڤد يحسن الاعتناء بي.

اثناء العودة سألها دايڤد فجأة:

- ماذا حصل للمبلغ الذي تركه لك ادوارد يا ماي؟

- ماذا تقصد بقولك ماذا حصل له؟

- اوه هيا تعرفين ماذا أقصد... أما زال بحوزتك؟

- لو كان معي، لما جعلتك تسدّد فاتورة الفندق.

www.elromancia.com

- ألا حدود لسذاجتك؟ هل أعطيت ذاك المخادع المغامر كل المبلغ؟

- لا، إطلاقاً رغم رغبتك في اساءة الظن بي إلا أن الحقيقة هي أنني قد سددت فاتورة ما.

- وماهي هذه الفاتورة؟

- فاتورة الأثاث الذي اشتراه ادوارد للشقة، من أجلي وأجل أمي.

فضحك بصوت مرتفع وقال:

- سامحيني يا حبيبتي... لكن ما قلت غير صحيح لأن جانين أخبرتني أنها قد فعلت ذلك.

- جانين لم تدفع شيئاً! و... ولا تدعوني حبيبتك... ولا تطلب مني مسامحتك... لقد قلت إنني دفعت الفاتورة رغم ادّعاء جانين التي قالت... انها...

توقفت عن الكلام فجأة إذ لم تكن ترغب في أن تقول رأيها خاصة وأن دايڤد لن يصدقها. في هذه اللحظة سُرّت لعدم مجيء جانين للسكن معها.

تلك الليلة بعد العشاء، اختفى دايڤد في مكتبه ليغرق في كتابه أما هي فجلست وحدها في غرفة الجلوس. لأنها وجدت في جلوسها في هذه الغرفة الأمان. راحت تنصت إلى الأنغام المنبعثة من الراديو وهي تتصفح كتاباً عنوانه: «أسفار اللورد بايرون» لفت نظرها فيه بيت شعر يقول:

«في الحب الأول تحب المرأة حبيبها وفيما بعد لا تحبّ إلا الحب».

الحب الأول... ارتعدت وهي تعيد قراءة هذا البيت. فقد

تذكرت الليلة السابقة عندما انجرفت أحاسيسها بفعل سحر القمر وضوئه. أغلقت عينيها وهي تفكر بألم في مشاعرها التي خانتها؟ هذه هي المرة الأولى في حياتها التي تشعر بمشاعر كهذه نحو رجل مثل دايڤد لوغان؟ الأمر لا يصدق ولا يمكن القبول به.

«في الحب الأول... تحب المرأة حبيبها...» حسناً إنها لا تحب دايڤد لوغان... بل على العكس. فهو لن يكون حبيبها ما دامت تملك نفساً لمقاومته لكن الذي أدهشها وأخجلها هو عدم مقاومتها له ليلة أمس إذ الذي حدث كان عكس ذلك فهي استسلمت له وهي لا تفهم السبب. ألأنّ ذلك جديد بالنسبة لها؟ أم لأنها لم تعرف إلى ما سيقودها؟ لكن أعذارها تلك لم تقنعها، فماذا سيحدث في المرة القادمة؟

المرة القادمة؟

أعادت الكتاب الثمين إلى الرف ثم استدارت تقريباً وكأنها تتوقع وجود أحد وراءها... ولكن الغرفة كانت فارغة. عادت إلى مقعدها لتنصت من جديد إلى الراديو... وهي تشعر بالوحدة... أين هو دايڤد؟ أهو يعمل حقاً في كتابه؟ أم... أنه... يبتعد عنها، حَذِراً من ألا تثيره أو تشعل ناره من جديد.

●●●

٨ ـ هل فات الأوان؟

في اليوم التالي لم تشاهد ماي دايڤد طوال النهار. وأمضت قبل الظهر وهي تطبع صفحات جديدة من نص الكتاب. ولما حانت الساعة الرابعة من بعد الظهر اكتفت من العمل، فخرجت إلى الحديقة، وما هي إلا بضع دقائق حتى وصلت جانين. فأسرعت لملاقاتها تأدباً إذ لم يكن في المنزل سواها فالسيدة ويبستر ذهبت إلى منزلها بسبب الصداع فكان أن وعدتها ماي بتحضير طعام العشاء الليلة.

وأحنت جانين رأسها باختصار لماي، ودون أن تدعوها دخلت ثم سارت نحو الشرفة... فسألتها ماي بأدب:

ـ أتريدين شاياً أم شراباً بارداً؟

ـ سأنتظر رجوع دايڤد. اجلسي. أريد التحدث إليك.

وجلست ماي في الطرف الآخر من الأريكة، فأخذت جانين تنظر إليها متفحصة. ثم تناولت سيجارة وأشعلتها:

ـ لقد التقيت بدايڤد في طريقي إلى هنا، وكنا نتحدث عنك.

خفق قلب ماي، فعندما تتحدث جانين مع دايڤد عنها، فلا بد أنها تخبره أشياء غير صحيحة. فسألتها:

ـ وماذا أخبرته هذه المرة عني يا جانين؟

حدقت فيها جانين بنظرة سامة:

ـ لم أقل له شيئاً. ولكنه أخبرني شيئاً أو اثنين.

ـ هل أخبرك أنني أزعجه؟

ـ لا... فهذا أمر واضح لكلينا. ولكنه قال إنه كان عليه أن يحضرك إلى هنا لأنه وعد أمك بالعناية بك لئلا تورطي نفسك بالمشاكل، لكنك كنت قد ارتكبت الحماقة قبل أن يصل إلى سيدني. صحيح ما أقول؟

ـ ماذا تعرفين عن المسألة يا جانين؟

سحبت جانين نفساً من سيجارتها، ثم بدا الخبث في عينيها:

ـ أعلم شيئاً ما عن لاري تيرنت، يا ماي... يبدو أن دايڤد مشمئز منك، بسبب عبثك وتهورك وهو ما أحضرك إلى منزله إلا لحمايتك من تكرار الخطأ ذاته. وبناء على ذلك أبعدي الأوهام التي بدأت تخترعها مخيلتك. فأنت لا تعنين شيئاً لدايڤد.

ـ إذا كنت قد أنهيت كلامك يا جانين، فهناك شيء أود قوله عن نفسي، وهو أنني لم أعبث مع أحد. ولست أدري ما هي التجربة التي مررت بها مع لاري، لكنني بالتأكيد لم أكن على علاقة معه.

ـ صحيح؟ ولكني أعرف ماذا كنتما تفعلان في شقة أبي.

ـ ماذا فعلت؟ ليس لدي أدنى فكرة عما تتحدثين عنه.

ـ ليس عندك فكرة؟ حسناً، دايڤد يعلم أن لاري قضى معك أكثر من ليلة في الشقة.

ـ وكيف له أن يعلم، بينما لم يحدث هذا. لا يمكن لدايڤد أن يكون مؤمناً بهذا!!

ـ اوه... ولكنه مؤمن به.

مالت جانين إلى الخلف وقد وضعت ساقيها فوق بعضهما،

www.elromancia.com

لتنفض رماد السيجارة على الأرض الخشبية اللماعة. أردفت:

ـ لقد جعلته يؤمن بقولي ليفهم حقيقتك أيتها الأخت. أنصحك بألا تدافعي عن ذاتك لتظهري براءتك فما من جدوى، لأنني أحصل على ما أصبو إليه فأنا أريد دايڤد لذا لن يكون لك فرصة للتأثير عليه. اعلمي انني سأحطمك وأدوسك إذا ما اعترضتِ طريقي.

وهزّت جانين قدمها لتؤكد على لفظة أدوسك فقالت ماي باختصار:

ـ لا تخشي شيئاً لأنني لا أريده ولا أريد ما يملكه. أما ما لن أقبل له فهو الأكاذيب التي لفقتها عني. سأخبره أنك كاذبة.

ابتسمت جانين ببرود:

ـ إذا خُيِّر بين أن يصدقني أو يصدقك فمن الصعب أن يقف إلى جانبك يا ماي... أخبريني عمّا حدث في سيدني؟ وعما فعله بلاري؟

ـ لا بدَّ أنه قد أخبرك بما فعله ما دمتما على علاقة وطيدة.

ـ لم ازعج نفسي بسؤاله... فأنا أستطيع تصوّر ما حدث. عليك أن تشكريني لأنني جعلتك تدفعين تلك الفاتورة إذ كان لاري سيستولي على المبلغ أيضاً.

كان في ما قالته شيء من الحقيقة لكن ماي لم تعلق عليه.

ـ إذا كان رأي دايڤد بي سيئاً إلى هذه الدرجة، فلست أفهم سبب قلقك من وجودي هنا.

ـ أنا لا اؤمن بالمخاطرة. فالرجال يميلون إلى فقد عقولهم أمام ذوات المظهر العاجز البريء من الفتيات وإن كانوا يعلمون علم اليقين أنهن لسن بريئات كما يبدين.

فوقفت ماي قائلة: «هل ستبقين للعشاء؟».

ـ أجل... فلقد دعاني دايڤد.

ـ هكذا إذاً... اعذريني سأحضّر الخضار والدجاج.

ـ أنت؟ هاي... أنت فعلاً تسعين إلى إيقاع دايڤد في شباكك! أنت لست المسؤولة عن الطهو في هذا المنزل لذا لا ضرورة إلى التمثيل فالسيدة ويبستر ستعتني بتحضير العشاء.

ـ لن تفعل الليلة وبما أنها مريضة فقد عرضت عليها خدماتي فكان أن ذهبت إلى منزلها شاكرة صنيعي.

ـ يا إلهي أنت حقاً تسعين إلى شقّ طريقك...

تركتها ماي باحتقار... وأسرعت إلى المطبخ فأخرجت الدجاجة من البراد وحضرتها للطبخ، مع بعض البطاطا والبازيلا. وما إن بدأت العمل حتى قررت أن تنسى كل شيء عن جانين. بعد أن انتهت قصدت غرفتها فانتقت ثوباً مثيراً أهدتها إياه أمها يوم عيد ميلادها وهو برتقالي اللون ذو فتحة منخفضة جداً عند الصدر يضيف إلى سنواتها عدة سنين أخرى.

ووصل دايڤد إلى المنزل ما إن انتهت من ارتداء ثيابها. وعندما خرجت إلى الشرفة، حدق فيها بذهول وكانت تعلم أنها تبدو مغرية بعد أن وضعت بعض الزينة على وجهها وحول عينيها كما أن لون الفستان النابض بالحياة يبرز ابيضاض بشرتها. تشبثت عينا دايڤد على فتحة الفستان التي تكشف الكثير من صدرها. فشعرت ماي بالارتباك وهي تقول له:

ـ لقد ذهبت السيدة ويبستر إلى منزلها بسبب صداع ونوبة كبد وتوليت أنا أمر المطبخ.

فقال دايڤد:

ـ انسي الأمر... فثيابك لا تناسب دور الطاهية. لقد دعتني

www.elromancia.com

جانين للعشاء في منزلها. . . وما دامت لك شهية كشهية العصفور فقد تكتفين ببعض البيض أو اللحم البارد.

ونظرت إليها جانين مبتسمة بانتصار. . . كم هي شريرة هذه الفتاة التي يصعُب كسب شيء منها لقد جعلتها جانين تبدو سخيفة جداً، والحق نوعاً ما يقع عليها فلو لم ترتدي هذا الفستان.

حسناً. . . ماذا كانت تتصور؟ هل كانت تحاول تسجيل انتصار على جانين بعد أن أصرت أمامها على أنها لا تريد شيئاً من دايفد؟ وإذا كان هذا صحيحاً لماذا تشعر بالاحباط؟ عليها أن تكون مغتبطة برحيلهما ولن يكون عليها إذن تحمل رفقتهما الثنائية. ولكنها لم تكن تشعر بالغبطة. فهي كانت تنتظر هذه الأمسية بطريقة فضولية. . . خاصة بعد أن نظرت إلى نفسها في المرآة وهي ترتدي هذا الفستان. أما الآن فأرادت أن تنفجر، خاصة بعد أن قالت لها جانين قاطعة تفكيرها:

ـ أرأيت يا ماي دانتون، كنت أعني ما أقوله. لعلك قد بدأت تفهمين ما قلت لك، أنت لا تعنين له شيئاً.

أجل. . . لقد بدأت تفهم. وأدارت ظهرها لجانين ثم دخلت إلى المنزل. لم تدخل المطبخ حيث الطعام الذي ستأكله وحدها على النار بل ذهبت إلى غرفتها، وصفقت الباب وراءها ثم خلعت حذاءها، وجذبت الفستان من فوق رأسها ورمته فوق السرير، وكانت على وشك الاستلقاء فوقه عندما دخل دايفد. حدقت فيه بغضب ناسية أنها لا ترتدي سوى ملابسها الداخلية. وقال لها:

ـ أنت تعانين من نوبة غضب. . . أليس كذلك؟ ما بك. . . تتجولين في المنزل غاضبة تصفقين الأبواب هكذا؟ ما الأمر؟ هل أنت غاضبة لأنك لست مدعوة للعشاء؟

ـ لن أذهب إلى منزل جانين للعشاء ولو لم يكن في العالم مكان آخر للطعام. فالجلوس معك ومعها على طاولة واحدة يقرفني.

قطع الغرفة نحوها ثم أمسك بكتفيها وهزها:

ـ ماذا دهاك أيتها الشيطانة الصغيرة؟

ـ لا تهزني! ماذا تظن أنه دهاني؟ لقد طهوت الطعام لك ثم تقول لي ببرود انك لن تأكل في المنزل، وهذا كل شيء.

ـ يا إلهي! أنتن النساء! خلتك ستفرحين بابتعادي عنك أم أنك. . . حسناً. . . ارتدي ثوبك من جديد وسأخبر جانين اننا سنتعشى هنا.

أمسك الفستان، فأجفلت فجأة بعد أن أدركت أنها لا ترتدي شيئاً. . . فقال لها:

ـ افعلي ما أقوله لك. . . ارتدي ثيابك!

ـ لماذا لا تتركني وشأني؟ اذهب إلى جانين! لا أريد. . .

سمعتهما يغادران بعد بضع دقائق. أما هي فالتقطت فستانها عن الأرض مرتجفة، غاضبة بل خائفة من هذا الظلام الذي راح يجتاح المنزل الفارغ.

جلست على حافة السرير وهي تشعر بالعجز والاحباط. لما تصرفت بهذا الغباء؟ لماذا صفقت الباب وراءها. . . وأصدرت مثل هذه الضجة؟ لقد أظهرت نفسها بمظهر الغبية مضيفة الزيت إلى النار. فرأي دايفد بها سيء بما فيه الكفاية ولا ريب أنها قد زادته سوءاً على سوء. أما رأيها به فقد استنتجته منذ وقت طويل. . . إنه ظالم.

ارتدت روبها وتوجهت نحو المطبخ. فأخرجت الدجاجة من الفرن، وأجبرت نفسها على تناول القليل من الطعام. وبعد أن

نظفت المطبخ، وأزالت ما سببه احتراق الطعام على النار، خرجت إلى الحديقة وعقلها لا يبارح التفكير بدايڤد الذي هو الآن برفقة جانين.

لم تسمعه عندما عاد بل لم تعرف ما إذا كان قد عاد لأنها لم تره عند الصباح. والمطبخ لم يمس والسيدة ويبستر لم تحضر. حضرت لنفسها بعض الشاي والتوست. ثم رتبت غرفتها ثم خرجت إلى الحديقة لتقطف بعض الأزهار. أمضت وقتاً طويلاً في الداخل وهي ترتب الأزهار في الإناء. ولكنها لم تستطيع أن تمنع نفسه من التفكير بدايڤد. أين قضى ليلته؟ هذا واضح بالطبع، فهو لم ينم في فراشه. إلا إذا كان قد أعاد ترتيبه بنفسه عند الصباح، لقد فكرت أن تهزم جانين! ليس لأنها تريد دايڤد، بل لأنها ترفض أن تعاملها جانين بهذا الأسلوب.

لم تطبع شيئاً مما كان عليها طبعه. بل جلست على الشرفة، تفكر بأن تسير إلى المراعي في الجانب الآخر من النهر، وأن تطلب من أحدهم أن يسرج لها جواداً تذهب فوقه في نزهة. ولكن قبل أن تستجمع إرادتها حضرت السيدة ويبستر، وكان لونها شاحباً إلا أنها أصرت على أنها على ما يرام. ثم قالت لها:

ـ هل أحببت الإقامة هنا؟ أعني أن المكان ليس كالمدينة. النساء هنا يعشن حياة ممتازة. لدي ابنة تعيش في «باثمنزباي» ولكن ليس من السهل الذهاب إليها طالما السيد لوغان يعتمد علي... أنا واثقة من أنه عندما يتزوج ثانية سيستخدم مدبرة منزل تقيم بشكل دائم.

نظرت السيدة ويبستر إليها بطريقة دفعت الدماء إلى وجنتيها؟ هل تلمح هذه المرأة إلى أن دايڤد يخطط للزواج منها... من ماي

دانتون لأنها تقيم هنا، لم تعرف ماذا عليها أن تقول لها، فضحكت وقالت باضطراب:

ـ ربما لا يريد الزواج ثانية.

ـ لا تصدقي هذا! القلق الذي ساوره عندما علم أن زوجته السابقة تموت من جراء فقر الدم قد خف بعض الشيء ولست أدري ماذا كانت ستفعل من دونه. لا يجب أن يتكلم المرء عن الموتى هكذا، ولكنها تستحق ما جرى لها بعد أن هربت مع شخص آخر تركها بعد أن علم أنها مريضة. ولكن كل شيء انتهى الآن وسيكون هناك بعض التغييرات القادمة. لقد سررت عندما أتى بك إلى هنا بعد أن فقدت وظيفتك لأن ذلك سيعطيك فكرة عن الحياة في «مراعي لوغان».

احمّر وجه ماي حتى غدا أدكن ولما لاحظت السيدة ويبستر هذا قالت:

ـ اوه... لا بد أنني أحرجتك... اعتذر لك، ولكن لا تغضبي لن يشك أحد بما يجري هنا ما دام لك هذا الوجه الجميل الواضح... والآن علي التوقف عن الثرثرة لأنجز عملي.

جلست ماي تفكر بارتباك بما قالته المرأة، لقد اتضّح لها الآن جيداً أن زوجة دايڤد السابقة قد ماتت مؤخراً. وهذا ما يفسر ذهابه إلى ملبورن وتخليه عن الموعد معها. ومن الواضح أنه اعتقد أن جانين قد شرحت لها الأمر... يا إلهي! لا بد أنه فكّر أنها قاسية وأنانية... في وقت كهذا. وكم تتمنى الآن لو أنها لم تتعرف إلى لاري تيرنت. لقد أثبتت بأنها غير مسؤولة من جراء تلك العلاقة التي لا معنى لها، مع أنها لم تكن علاقة بالمعنى الحقيقي.

تلك الليلة أمضتها وحيدة أيضاً لأن دايڤد لم يعد إلى المنزل بل

www.elromancia.com

ربما ما زال حيث كان الليلة الماضية... عند جانين! حسناً من يهتم؟

لكنها عندما أرادت النوم لم يطرق النعاس أجفانها إذ لم تستطع سوى التفكير بالرجل الذي غزا حياتها، بعينيه السوداوين وفمه القاسي. كانت تستلقي في الظلام مضطربة تتأوه بصوت مرتفع.

لما وجدت نفسها عاجزة عن النوم جلست في الفراش فاضاءت الضوء الصغير قرب السرير ثم غادرته لتسير نحو الشرفة وهي تحس بالخشب اللامع تحت قدميها بارداً ناعماً. في هذه اللحظة رغبت في أن تعود إلى ذراعيه ثانية. يا ترى كم سيختلف الأمر لو أنهما متزوجان حيث تعيش هنا مع حبيبها ولكنه الآن مع جانين...

هزت رأسها رافضة هذه الأفكار التي تراودها... حبيبها! هزت رأسها مصدومة من أفكارها... فجأة صعدت الدموع إلى عينيها لأنها اكتشفت أخيراً أنها تحبه وتغار غيرة عمياء من جانين.

سمعت صوت محرك سيارة... إنه دايڤد عائد إلى المنزل! فجأة أضحى العالم شيئاً آخر حياً. جففت دموعها بسرعة، ولم تكن إلا لحظات حتى اضاءت أنوار السيارة المدخل بعد أن التفت عند المنعطف ليتبعه الصمت من جديد والظلام، بعد ذلك سمعت صوت باب السيارة يقفل وما هي إلا لحظات حتى رأته يتجه إلى حيث تقف في الظل قرب شعاع من ضوء خافت منبعث من غرفة نومها.

توقف دايڤد مسافة غير بعيدة منها فأحدث لها إحساساً بالإثارة زاد من خفقات قلبها وتهدُّج أنفاسها.

ـ لماذا لست في الفراش نائمة؟

وكأنها في حلم، وضعت يدها على ذراعه غير واعية لما تفعل فها هو دايڤد لوغان، حبيبها. رفعت نظرها إليه:

ـ لم استطع النوم...

انقطعت أنفاسها عندما احتوتها ذراعاه برقة وحنان حتى عجزت عن المقاومة ولو قليلاً. كم أرادت في هذه اللحظات أن تخبره عما يجيش في صدرها من شوق وغيرة وحب.

في تلك اللحظة شعرت بشيء ما في داخلها يصيح بها: لا... وكأنه حارس قد غط في النوم ثم لما أحسَّ بالخطر الداهم هبَّ من سباته. كان هو في اللحظة نفسها قد أبعدها عنه.

ـ دايڤد؟

فقال بخشونة:

ـ لا... شكراً يا ماي دانتون، لن أقبل دعوتك...

ـ دعوتي؟

ـ دعوتك إياي إلى مغازلتك. لقد سعيت للإيقاع بي لكنني لست مهتم بك! وبما تعرضينه علي. شكراً. لقد غيرت رأيي.

ـ لا... لا تقل أشياء كهذه يا دايڤد لوغان. أنا لم أكن على علاقة مع لاري تيرنت أو مع غيره من الرجال.

ـ لا...؟ عليّ التحقق من صدق قولك هذا يا ماي.

شيء ما في داخلها أراد أن يصرخ به «إذاً هيا تحقق من الأمر» ولكنها أجبرت الكلمات على التراجع. فهو لا يشعر بشيء نحوها ولا بد أنها قد جنت عندما اعتقدت أنها تحبه... قال متمتماً بمرارة واشمئزاز...

ـ أنتن النساء... خائنات، سطحيات، وفارغات... جميلات لكنكن أفاعي غادرة هذا عدا كونكن كاذبات.

www.elromancia.com

ـ لقد اتخذت لنفسك رأياً ثابتاً بشأنهن. لكن عليك ألا تشمل النساء كلهن فأنا... أستطيع أن أقول...

ـ قولي ما شئت إنما إياك واغوائي بمغازلتك ثانية.

ـ أنا لم أغوك.

ـ ألم تنتظريني على الشرفة؟ حسناً... عمت مساءً. سأذهب إلى غرفتي لأخلد إلى النوم.

ثم تركها... فدخلت غرفتها واطفأت النور واستلقت في الفراش، رافعة الغطاء حتى ذقنها، وهي ترتجف.

لكن فكرة جنونية خطرت لها... ستثبت له الآن براءتها وطهارتها. نزلت من فراشها وخرجت إلى الردهة، ثم توقفت في منتصف الطريق... لا... هي ليست من هذا الصنف من النساء فهي وإن كانت تحبه فلن تستطيع... فجأة شهقت لأن باب دايڤد انفتح وإذا به في الردهة:

ـ ماذا بك الآن؟ ماذا تريدين بحق الشيطان؟

ـ ثمة أمر ما أريد إعلامك به. علمت اليوم بينما كنت أتحدّث مع السيدة ويبستر أنك قد فقدت زوجتك... أنا آسفة جداً.

ـ زوجتي السابقة. ألم تفهمي قبل الآن أنني ذهبت إلى ملبورن اثناء احتضارها. لا تستخدمي أسفك هذا في سبيل إثارتي من جديد.

ـ أنا لا أتخذه عذراً. صدقني لم أعلم بوفاتها إلى اليوم. ولكن ما الفائدة؟ لن تصدق أبداً كلمة مما أقول. وأنا آسفة لأجل هذا.

ـ احفظي أسماك على نفسك. فأنا لست بحاجة إليه. زوجتي السابقة كانت امرأة رائعة، ولكنها لم تعرف قط معنى الإخلاص. ويستطيع المرء القول أنها حصدت ما زرعت. لقد أحببتها فيما

مضى، ولكن كل هذا اختفى، حاولت إحضارها إلى هنا وهي مريضة، لكنها رفضت... أن تكون معي وحدها.

ـ أنا آسفة... أردت أن أقول لك انني لم أكن أعرف بوفاتها عندما سافرت مع لاري مسببة لك كل هذه المشاكل. لو علمت لتريثت يا دايڤد.

ـ أحقاً كنت ستتريثين؟ أشك في أن معرفتك كانت لتبدّل شيئاً في تصرفك. عودي إلى غرفتك يا ماي... وبحق الله ابقي فيها. نحن في هذا المنزل وحدنا... وعلي التفكير بما سأفعله بك.

ـ أجل...

أطرقت برأسها. انه يعني بالطبع... أن عليها أن تذهب من هنا، ومع أنها تعلم أنه على حق، إلا أنها لم تستطع النظر إلى ما هو متوقع بفرح، فقد فات الأوان...

●●●

www.elromancia.com

٩ ـ اريد حبك

بدأ المطر ينهمر في الصباح التالي. . . مطر قوي وكثيف يطرق على سطح المنزل الحديدي. استيقظت ماي على صوته من نوم مضطرب وبقيت مستلقية تستمع إليه. كان كل ما استطاعت التفكير فيه أن دايڤد يخطط للتخلص منها. وان ما تريده الآن أكثر من أي شيء هو أن تبقى هنا.

لماذا يحصل لها هذا! أخذت تذرف الدموع على الوسادة. وهذا الرجل الذي كانت متأكدة تماماً بأنها تكرهه. . . هل تحبه الآن؟ وهذا الشعور الجميل الذي لم تحس به مع لاري. هل هو الحب؟ أحست وكأنها قد كبرت عشر سنوات خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية.

عندما دخلت المطبخ، كانت السماء لا تزال تمطر والهواء ساخناً وكثيفاً. صاحت السيدة ويبستر:

ـ يا إلهي ما هذا المطر! حسناً فعل السيد لوغان بعودته إلى المنزل ليلة أمس. لا بد أنه سمع التقرير عن الطقس وهذا يعني أنه يسحب الخراف من الوادي لذا سيتأخر هذه الليلة.

ـ أعتقد ذلك.

لم تكن تعتقد أنه سيكون لدايڤد قليلاً من الوقت للتفكير فيها،

فأمور مهمة تشغل باله. كانت تتمنى في هذه اللحظة مساعدته لكن كيف ذلك وهي لا تعرف شيئاً عن الخراف.

عملت في الطباعة ذلك النهار لتُشغل نفسها بما يلهيها عن التفكير بدايڤد ولتنجز بعض العمل الذي هجرته. ولما عاد بعد الغروب متعباً، مرهقاً ولم يكن المطر قد انقطع بعد، خلع حذاءه على الشرفة ودخل الحمام ليغتسل ثم عاد رأساً إلى غرفة الطعام ليتناول طعامه. كانت السيدة ويبستر قد ذهبت إلى منزلها باكراً.

تناول دايڤد وجبته صامتاً دون أن ينظر إلى ماي وهي تجلس في مواجهته على الطرف الآخر من الطاولة. لما انتهى العشاء. . . أزالت ماي الأطباق عن المائدة وهي تفكر في أن تسأله بعض الاسئلة وتشير إلى استعدادها لتقديم العون في تجميع الخراف خاصة وأنها تجيد ركوب الخيل.

لكنها عندما عادت من المطبخ لم تجده في الغرفة ولا في غرفة نومه، مشت في الشرفة تنظر إلى الحديقة متسائلة عما إذا كان قد ذهب إلى منزل جانين. ثم اكتشفت أنه مستلقٍ على كرسي نوم في الشرفة الشرقية. . . مستغرق في النوم بكامل ثيابه. أحضرت بطانية لتضعها فوقه. فتحرك قليلاً دون أن يستيقظ. وقفت ماي تتأمله بعد أن اعتادت عيناها الظلام. ولكن لن يفيدها أن يستيقظ ويجدها هناك. . . وكأنها تدعوه. فابتعدت عنه بسرعة على أطراف أصابعها.

كان اليوم التالي كأخيه الذي ولى إلا أن المطر خفَّ هطوله قليلاً. كانت السيدة ويبستر قد جاءت في سيارة قديمة، ولكنها ذهبت باكراً بعد أن أصرت ماي على تحضير العشاء. أما هذه الليلة

www.elromancia.com

فلم ترتدِ فستاناً بل اكتفت ببلوزة وبنطلون جينز فكان أن لفت الانتباه إلى ذلك وهو يقطع اللحم:

ـ لم تتزيني الليلة. هل خيّبت أملك ردة فعلي تلك الليلة التي كنت فيها في مزاج عكر. إن كنت تتساءلين عن مزاجي الليلة فإنه عكر أيضاً.

ضبطت ماي أعصابها وهي تجد نفسها غير قادرة على الرد على هذه الملاحظة. ولما لم تجبه أردف:

ـ تعجبينني عندما تبدين مغرية وأنا اؤكد لك أنني أعجبك. ألم تظهري ذاك الإغراء ليلة أمس؟ هل رقت لك البارحة وأنا بثياب العمل غير حليق الذقن؟ اسألك هذا السؤال إن لم يكن فيه إحراج لك.

ـ ما دام الأمر كذلك فأُعلمك بأنني لا أحب القرب منك.

ـ استطيع أن أجعلك تغيرين رأيك.

وضعت الشوكة من يدها وهي ترتجف:

ـ إذا كان هذا تحدياً. فأنا لن أقبله.

ـ عجباً... ولم لا؟

ـ هل نقل الخراف من الوادي على ما يرام؟

نظر إليها دهشاً كأنه لم يتوقع اهتمامها هذا بشؤون المزرعة:

ـ بالتأكيد، لقد شارفنا على الانتهاء.

كنتِ اتساءل ما إذا كنت استطيع تقديم العون بطريقة ما فأنا أجيد ركوب الخيل وقد أفيدكم.

ـ لن أطلب منك أبداً ركوب الخيل والبحث عن الخراف إذ قد تصابين بنزلة صدرية.

ـ وأنا مصدر إزعاج دون أن أكون مريضة... أليس كذلك؟

ـ نعم شيء من هذا القبيل. لقد كنت أفكر بالمشاكل التي حدثت ليلاً... لدي بعض الأفكار.

ـ وما هي؟

ـ سنبحثها فيما بعد عندما لا أكون تعباً هكذا. وعليك أن تعذريني الليلة. فأمامي يوم طويل غداً... كيف تمضين وقتك؟ أتتشوقين لأنوار المدينة؟

ـ لا... لقد انتهيت تقريباً من الطباعة لذا فكرت في مرافقتك غداً لأرى المزيد من مراعيك فقد أثار كتابك اهتمامي بها.

ـ شكراً لك. للمرة الأولى أسمع قولاً لطيفاً منك بحقي.

ـ هذا لأنك كنت فظاً في معاملتك إياي.

ـ صحيح... إن عدت باكراً مساء الغد فسنبحث أمر مستقبلك.

أشرقت الشمس في اليوم التالي ففكرت في أنها لن تصاب بنزلة صدرية فيما لو رافقته، فأسرعت إليه تسأله لكنه كان قد ذهب قبل أن تستيقظ من نومها. فكان أن قضت الصباح وهي تتم الطباعة.

سمعت قبل الظهر بقليل صوت محرك سيارة فأسرعت إلى الخارج بفضول متسائلة ما إذا كان قد عاد باكراً لأجلها.

لكن ليس هو القادم إنما جانين:

ـ ما هذا الترحيب! من ظننتِ القادم؟ أنا أعلم أن دايفد يجمع الخراف. هل كنتِ تترقبين وصول لاري؟ لقد سمعت أنه عاد إلى كانبيرا... تلك المرأة في محل الزهور قالت انه جاء يبحث عنك.

ـ لم أسمع عنه شيئاً.

جلست ماي، تكاد لا تطيق وجود هذه المرأة، متسائلة عمّا إذا

www.elromancia.com

كان لاري سيردّ لها المال. لكن الغريب أنها ما عادت مكترثة بالأمر، نعم هي تريد استعادة مدّخراتها لكنها لا تريد رؤيته أبداً.

قالت جانين:

ـ قد يتصل بك لأنه مدين لك ببعض المال. ألم يحن وقت عودتك إلى شقتك؟ فأنا لا استطيع رعايتها ولدي كل ذاك العمل المتوجب علي انهاؤه، لقد تكبدت مشقة السفر من أجل الشقة التي يبدو أنني لن أقدر على العناية بها. عندما التقيت دايڤد يوم أمس قررنا أن عليك العودة إلى المدينة.

اتسعت عينا ماي غضباً من هذه الفكرة، إذاً دايڤد كان يبحث أمر مستقبلها مع جانين! تابعت جانين كلامها بقسوة:

ـ إن كنا سنتزوج فلن نريدك حجر عثرة في طريقنا. ولقد وجدت لك هذا الصباح وظيفة عند صديقة نحاتة لي تدير معرضاً صغيراً وقد وافقت على توظيفك ما أن تقصدينها.

ـ لا أدري إن كنت أستسيغ العمل في معرض فنون.

ـ لا اسألك بل آمرك بقبول هذه الوظيفة، سارعي إلى توضيب حقائبك فوراً لأنني سأنقلك معي بعد الظهر إلى كانبيرا لأعرّفك إلى ليديا.

ـ لن أذهب اليوم. دايڤد يريد محادثتي الليلة بشأن مستقبلي وأنا لن أذهب إلى أي مكان قبل بحث الأمر معه. لقد ارتكبت خطأ في المرة الماضية ولن أكرره ثانية... فقبل أن أذهب إلى أي مكان أريد موافقته أولاً.

ـ حسناً... ابحثي الأمر معه... ولكنني سأعود لأخذك غداً، وإن كنت تعرفين صالحك جيداً فعليك أن تقولي لدايڤد انك تريدين الوظيفة، وانك تريدين الذهاب مفهوم؟ وإلا... ستندمين... لا

أريدك في هذا المنزل أيتها السافلة القذرة. كوني جاهزة غداً.

لم تفُه ماي بكلمة بل لم تودعها عندما ذهبت، فقد راحت تفكر، بينما سيارة جانين الحمراء تبتعد، في ما ستفعله. هل يريد دايڤد الزواج من جانين؟ وهل سيوافق على عودتها إلى كانبيرا أم أنه سيبقيها هنا بسبب عدم ثقته بها أم سيلحقها بإحدى العائلات التي تشتغل في أملاكه؟ وبذلك تصبح آمنة أما هو فينسى أمرها ويكتفي بالاطمئنان عليها من وقت لآخر بانتظار مجيء أمها وزوجها ليتوليا شؤونها.

سمعت الهاتف يرن داخل المنزل. فقفزت من مكانها وركضت نحوه وإذا بصوت رجل يأتيها:

ـ أهذه أنت يا ماي؟ أنا لاري. أعلم أنك تودين لو تقفلين السماعة في وجهي، ولكن دعيني أقول لك شيئاً أولاً... أرجوك!

ـ ماذا؟ عجباً كيف تجرؤ على التحدث معي؟

ـ أنت على حق. لو كنتِ معي الآن لجثوتُ على ركبتي طالباً الغفران على نذالتي. لكني لما عدت إلى الفندق في اليوم التالي، لم أجدك لذا لم يكن بوسعي فعل شيء.

ـ وماذا تريد؟

ـ لا أريد أكثر من رؤيتك لأرد لك مالك طبعاً، ولأشرح لك بعض الأمور. صدقيني لقد أحببتك وأردت أن أعطيك كل شيء...

لم تصدق ما قاله فهي ما عادت تلك الساذجة التي يظنها فقالت له ببرود:

ـ إذاً كيف ستدفع لي؟

ـ لقد اتصلت بأبي وأخبرته بالقصة كلها فوافق على إرسال

www.elromancia.com

المال لي على أن يحسمه من أجري القادم كما استعدت بعض ما دفعته من وكالة السفر... لذا اسمعي... متى أراك؟

ـ لست أدري...

ـ ألستِ عائدة إلى كانبيرا؟ السيدة... صاحبة محل الزهور تظنك عائدة قريباً إلى شقتك.

صحيح؟ حارت ماي إذ كيف علمت السيدة رينهارت بذلك، أهي جانين التي أخبرتها. لكنها في كل الأحوال لن تعود قبل موافقة دايڤد. فقالت له:

ـ لست أدري في الواقع متى أعود يا لاري... عليك الاتصال بي ثانية، أو ربما أتصل بك أنا... أين تقيم؟

ـ في الفندق نفسه، لكنني لن أمكث فيه إلا أياماً... لذا لا تنسي اتصلي بأسرع وقت ممكن.

ـ سأتصل...

ودَّعته بكلمات مختصرة والشكوك تساورها بشأن هذه المحادثة. كانت تكره رؤيته، لكنها تريد مالها لذا لا بدَّ من مقابلته للحصول على مالها.

وعادت إلى الشرفة، وهي تفكر بالتهديدات التي أطلقتها جانين... بماذا تهددها يا ترى؟ قد يسهل عليها القول إن جانين لا تملك أن تفعل شيئاً لها، لكنها بعد التجربة تعرف أنه ليس لجانين ضمير حي، فهي من أقنع دايڤد بتلك الأكاذيب التي لا تحصى. كبقاء لاري في شقتها عدة ليال وغيرها وغيرها من التلفيقات الخسيسة. يبدو أن تلك الفتاة تريد دايڤد وأملاكه لذا لن يردعها رادع عن تحقيق ما تريد...

عندما عاد دايڤد باكراً، كما وعد كانت قد استحمت وارتدت ثيابها استعداداً للعشاء. وكانت تعلم أن عليها إبلاغه بشأن الوظيفة التي عرضتها عليها جانين. لكن شعوراً دفيناً أوحى إليها بأنه سيرفض وسيعرض عليها شيئاً آخر.

ـ ذكرت أن علينا التحدث بشأن مستقبلي.

ـ الآن؟ ألا نستطيع أولاً تناول الطعام لنتباحث بعد ذلك في هذا الموضوع.

تبّاً...! لقد استجمعت ما يكفي من شجاعتها لتقول له ما قالت ووجدت من الصعوبة أن تزيح نظرها عنه، فرفع عينيه وقال ساخراً:

ـ ما بك؟ ثمة أمر يبقيك شاخصة البصر إلي هكذا؟

أجبرت نفسها على الانكار والتفتت إلى طعامها وهي تقول في نفسها: «لا أريد سوى القول بأني أحبك». وبعد العشاء تناولا القهوة على الشرفة وكانت السماء قد تلبدت بالغيوم حتى اختفت النجوم بين طيّاتها، والبومة قد شرعت بالنحيب والكلاب نبحت وراء النهر.

قال دايڤد بعد صمت طويل:

ـ حسناً... يجب أن نتكلم كما اعتقد. لقد قلت لك ان لدي فكرة أو اثنتين يا ماي...

ـ أجل ولكن عندي فكرة خاصة.

ـ حسناً لنستمع إليها.

ـ أريد العودة إلى كانبيرا. لأستلم عملاً في معرض للفنون.

ـ كيف وجدت هذا العمل وأنت وحيدة أسيرة المنزل كل النهار. هل كنت تستخدمين الهاتف؟

www.elromancia.com

- لا . . . جانين هي من وجدته.
- فهمت . . . إذاً لقد مللت حياة الريف.
- فقط مما شاهدته منها.
- وهو شيء قليل . . . حسناً أعتقد أنني لا استطيع منعك، والله يعلم إنني لا أريد إجبارك على البقاء ولكن قد يكون من الخير ذهابك.

آلمتها موافقته السريعة غير المنتظرة بشدة. إذ كان قبل الآن يهتم بالإشراف عليها. أما الآن فيبدو العكس. لقد كسبت جانين ولا ريب أن ما قالته بشأن زواجهما صحيحاً.

سألها:

- ماذا ستفعلين؟
- سأوضب حقيبتي . . . وأغادر غداً.
- فاجأتني يا ماي. لقد اعتقدت . . .
- ماذا؟
- لا شيء . . . حسناً، لقد سوينا الأمر بسرعة . . . هل ترغبين في السير قليلاً في الحديقة؟
- لا . . . بل سأوضب حقائبي.
- كيف ستذهبين إلى كانبيرا؟ لدي أمور كثيرة ستمنعني من نقلك.
- لا يهم . . . ستقلني جانين.

تركها دايڤد وسار مبتعداً فراقبته ماي وهو يمشي في الحديقة، فوق العشب، فوقفت مترددة. إنها بالطبع ترغب في أن تسير معه، ولكن لو فعلت فهي تعرف ماذا سيحدث . . . وتعرف بأنه سيلومها، وسيقول انها تثيره وتحرضه. وتدعوه . . . كما تفعل النساء، وقبل

أن تلين، دخلت بسرعة إلى غرفتها وفتحت حقائبها. وكرهت نفسها لأنها تفعل ما قالته لها جانين بالضبط، وكرهتها أيضاً. ولكن ربما لن تقبل بالوظيفة. وقد تتصل بلاري وعندما تحصل على بعض المال سوف تأخذ وقتها الكافي للبحث عن وظيفة، وشعرت بأن الوظيفة في المعرض لن تدوم. وبأنها قضية صديقة تقدم معروفاً لجانين.

سارت نحو الشرفة، ثم شهقت لأنها وجدت دايڤد عند الباب يراقبها. تلاقت عيناهما فشعرت بشعلة تسري في جسدها. أرادت أن ترمي نفسها بين ذراعيه وأن تتوسل إليه أن يحبها. واستمرت في السير نحوه وكأنها منومة. قال لها وهي تقف على بعد قدم منه، وأنفاسها متسارعة ورأسها منخفض:

- كيف يسير توضيب الحقائب معك؟
- سأوضبها غداً!

مد يده وأمسك بها.

- ولماذا لا؟ الليل قد خلق لأشياء أخرى.

ضمها إليه بحنان، فكانت استجابتها سريعة. لقد كان على حق عندما قال لها مرة انها قابلة للاشتعال، لكنه وحده القادر على إشعال أحاسيسها . . . تركته يحتضنها منتظرة أن يحملها بين لحظة وأخرى و . . . لكنه عوضاً عن ذلك تركها وهو يقول مضطرباً:

- ماي . . . انسي أمر ذهابك غداً. ابقي هنا . . . وتزوجيني.
- ماذا؟ أتزوجك؟ أنا؟ . . . ولكن لماذا؟ لقد قالت جانين . . . انك . . . وهي . . .
- لا يهمني إطلاقاً ما قالته. أريدك زوجة يا ماي دانتون. ربما يبدو الأمر غير منطقي لكني أريدك رغم كل الأوهام والشكوك التي

www.elromancia.com

تدور في رأسي حولك . . . فأنت لست سوى امرأة أخرى.

ـ إذاً. لماذا أنا؟

ها هي تكبح مشاعرها رغم حبها الكبير له وستتركها دفينة أعماقها إلى أن يكتشف بعد الزواج بأنه قد أساء الظن بها:

ـ لماذا أنت؟ لأنني أشعر واثقاً أننا سنرضي بعضنا . . . هل هذا يكفي؟ ولأنني بحاجة إلى زوجة تحمل لي أطفالي. فهل أنت مستعدة لهذا؟

ـ أجل . . .

ـ إذاً أنت موافقة؟

ـ ولماذا أوافق؟

ـ أنت تعرفين جيداً لماذا . . . فلا بد أن منطقك الأنثوي قد أخبرك. هل تريدين الذهاب حقاً إلى محلٍ ما بينما تستطيعين العيش هنا معي لنفعل ما تتوقين إليه كلما لمستك لمسة؟

احمر وجهها بشدة فهو يتكلم وكأنها لا تفكر سوى به، فكرهته لهذا. وكرهته أيضاً لأنها تعرف بأنها ستقول له نعم. زواجها منه هو أكبر مغامرة مجنونة ستقوم بها في حياتها. لكنها في الحقيقة تحبه وتكرهه في آن. تحبه رغم قسوته وسخريته وعدم ثقته بها. هو يريدها رغبة فيها أما هي فتحبه وتريده أن يحبها وأن يثق بها، قالت له بصوت خفيض:

ـ أتمنى عليك أن تصدق شيئاً واحداً يا دايڤد . . .

ـ وما هو؟

ـ إن لاري تيرنت لم يكن عشيقي يوماً.

ـ لماذا تتطرقين إلى هذا الموضوع؟ أنت تعلمين أنني سأكتشف الحقيقة قريباً، ولكن إذا كان هذا يريحك، فلتتظاهر بأنك ما زلت

تلك البريئة التي تركتك أمك في رعايتي . . . ودعينا لا نتكلم عن ماضيك القريب.

ـ حسن جداً . . .

ـ يمكنك مرافقتي في البحث عن الخراف غداً.

تركها وذهب.

أيقظتها في الصباح التالي طرقاته على بابها. جرت نفسها من بركة عميقة كانت غارقة بها. فحدقت في ما حولها من أكوام الثياب التي كانت قد وضعتها ليلة أمس في كل مكان، وتذكرت وعدها بالزواج منه. بدا كل ما حدث البارحة حلماً! إن موافقتها هذه هي قمة جنونها. يا إلهي ماذا ستفعل جانين عندما تأتي؟ لكنها لن تجدها هنا لأنها سترافق دايڤد اليوم.

انضمت بعد قليل إلى دايڤد في المطبخ حيث كان يحضر شرائح اللحم. هنا تريد أن تمضي ما تبقى من حياتها في «مراعي لوغان» تكافح لأجل أن يحبها . . .

لم يذكر شيئاً عن حديثهما ليلة أمس، ولا عن حضور جانين لتأخذها ولا هي فعلت . . . انتهى الفطور، وبعد وقت قصير كانا في طريقهما مبتعدين عن المنزل، وكلبا دايڤد، كيلي وبيل، يقفزان وراء جواديهما، أخذ العشب يسخن ببطء تحت أشعة الشمس ليتبخر ما عليه من ندى، واستطاعت ماي تقريباً، أن تشاهد طبقة خضراء ترتفع فوق الأرض التي كانت منذ أيام ميتة وجافة. وكان الجدول يتدفق بقوة وأوراق الأشجار تلمع، وشعرت بالسعادة تمحو أي شكوك ساورتها.

أشار دايڤد إلى سياج بعيد، عند حدود الأفق.

ـ عندما نجمع الخراف عند ذلك المرعى سوف تقودها الكلاب إلى هذا المرعى البعيد عبر هذه البوابة ثم إلى السفوح.

رمقت ماي دايڤد وهو على صهوة جواده. وتمنت لو أنهما أكثر تفاهماً. كانت تشعر بأنها إن عاشت في هذه الأرض فستحبها بمقدار حب دايڤد لها، وستنجب له الأطفال فتعيش معه حياة رائعة.

ولم يمض وقت طويل بعد الظهر حتى قفلا عائدين إلى المنزل، وهي تشعر بالتعب. ولما علمت أنهما لن يخرجا بعد الظهر شعرت بالراحة لكنها تذكرت جانين فهبطت معنوياتها. وعندما قطعا النهر، شاهدت لمعان لون سيارة جانين بين الأشجار قرب المنزل. وشاهد دايڤد السيارة بدوره وقال:

ـ أرى أن جانين أتت لتأخذك. لدينا مفاجأة لها!

كانت هذه الملاحظة الإشارة الأولى إلى زواجهما الذي سألها إياه البارحة.

وقالت ماي بسرعة:

ـ إن كنت عدلت عن رأيك... ليلة أمس... كنت... كنت...

ـ كنت متسرعاً؟ حسناً أنا أتسرّع وأندفع كلما كنت قريباً منك لكنني لن أعدل عما قررتُ ولا أنت أيضاً يا ماي. ماذا دهاك على كل الأحوال؟ هل أنت خائفة من جانين؟

قرب الاسطبلات... ترجلا عن الجياد حيث أخذ المسؤول الجياد ثم لحقت به وساقاها ترتجفان.

نظرت جانين التي جلست على الشرفة بدهشة إليهما إذ يبدو أنها ما توقعت أن تراهما معاً.

وقفت جانين بعد أن استعادت رباطة جأشها ثم تقدمت نحوهما مبتسمة:

ـ مرحباً يا دايڤد. لم أتوقع رؤيتك... لقد أتيت لرؤية ماي...

والتفتت إلى ماي ثم تابعت:

ـ هل أخبرت دايڤد بقرارك...

أجابها دايڤد بطريقة حادة فظّة:

ـ إذا كنت تعنين عودة ماي إلى كانبيرا يا جانين، فقد انتهى الأمر لأننا سنتزوج.

حبست ماي أنفاسها ترى جانين وهي ترفرف عينيها من هول المفاجأة، لكنها استعادت أنفاسها بطريقة عجيبة:

ـ لكما تهنئتي لا أنكر المفاجأة التي سببتماها لي، لأنني لم أر في الجو ما ينبىء بذلك. هل ستطول الخطوبة؟

ـ بالتأكيد لا.

تحرك دايڤد نحو الباب وكأن لا شيء لديه يضيفه.

ـ سأحضر بعض الشراب... هل ستتناولين الغداء معنا يا جانين؟

ـ أحب ذلك.

عندما اختفى داخل المنزل التفتت جانين لماي وصاحت بها:

ـ أيتها العاهرة الصغيرة! كيف استطعت إقناعه؟ قلت لك انني أريدك أن تخرجي من «مراعي لوغان»، هل أنت حامل منه أم أنك تدعين هذا؟

شحب وجه ماي التي صاحت بها:

ـ بالطبع لا! وأنا لم...

www.elromancia.com

ـ يا إلهي أنا أعرف ما فعلت. فبعد أن فشلت في الحصول على لاري سعيت إلى دايڤد لتوقعي به طمعاً في ماله ومزرعته التي ليست كمزرعة لاري العديمة النفع.

أشعلت سيجارة بيدين مرتجفتين ثم أردفت:

ـ لن تنجحي يا هذه ولن تفلتي من يدي.

ـ لِم لا تقبلين الواقع يا جانين فدايڤد لا يريدك زوجة وإلا فإنه لم...

ـ إذا كان قد غازلك فلأنك شجعته على ذلك. أنا لست غبية، أنا لست غبية! فأنا أعرف أن الرجل ليس دائماً هو الذي قد يسعى إلى امرأة.

سمعا دايڤد يعود، فتوقفت جانين عن الكلام ولم تعد إلى الحديث عن الموضوع حتى اثناء الغداء بل تحدثت عن نفسها وعن عملها دون أن تدع لماي فرصة المشاركة وقد بقي الحديث دائراً إلى أن اعتذر دايڤد عن البقاء بسبب عمله قبل أن يخرج:

ـ سأراك عند العشاء.

توقعت ماي أن تذهب جانين إلى منزلها، ولكنها تبعتها إلى الشرفة ثم جلست:

ـ لقد كنت ذكية جداً يا ماي، أعتقد أن علي الاعتراف بالهزيمة.

كادت ماي تقع أرضاً من الدهشة فابتسمت جانين قبل أن تتابع:

ـ أنا لا أحبك... ليتني لم أرك وأمّك فأنتما قلبتما حياتي رأساً على عقب. أنا على يقين من أن دايڤد ارتكب أفظع خطأ عندما افتتن بك، فأدعو الله أن يثوب إلى رشده قبل فوات الأوان. أما خلال هذه

الفترة فعلينا عقد الهدنة بيننا.

لما توقفت عن الكلام هزت ماي رأسها وهي تكاد لا تصدق ما سمعت فتابعت جانين كلامها:

ـ كنت اتساءل ما إذا كان بإمكانك إخراج سيارتك من مرآب الشقة. فأنا أنوي الإقامة في كانبيرا لبعض الوقت. ولا أريد ترك سيارتي في الشارع اعطيني المفاتيح وسأخرجها بنفسي وقد أحضرها لك إلى هنا؟

ترددت ماي قليلاً... سيكون من المفيد لها لو أن سيارتها هنا، ولكنها لم تكن تعرف كيف ستأتي بها. وقالت:

ـ كنت لأحضرها لو لم يكن دايڤد مشغولاً.

ـ أعتقد هذا... ولكن اسمعي... سأذهب إلى كانبيرا غداً، وإن شئت أقلك بسيارتي.

ـ شكراً لك... سأسأل دايڤد.

ـ لن يعارض لأنني لن أذهب إلا بعد الظهر. سأراك غداً إذاً... هل يمكن؟

ـ أجل... وشكراً لك.

ـ لا تشكريني، مجيئك يفيدني.

تحركت نحو سلم الشرفة ثم توقفت.

ـ إن كنت تريدين شراء بعض الأشياء فلا بأس في بقائك ليلة واحدة في المدينة ولا أعتقد أن دايڤد سيعارض خاصة بعد أن يعرف أنني برفقتك.

ـ أعتقد هذا... سأكلم دايڤد.

ـ تحدثي مع دايڤد إذاً...

عندما عاد دايڤد إلى المنزل تلك الليلة، كان المطر قد بدأ من

www.liilas-romance.com

جديد. فاستحم وبدّل ملابسه. وكانت السيدة ويبستر قد ذهبت تاركة لماي أمر تقديم الطعام. وبعد انتهائها منه. خرجا إلى الشرفة. وقد أحسّا بأن صوت المطر يغلفهما بشكل حميم. نظر دايفد إليها دون أن يقول كلمة. فسألته ماي باضطراب:

ـ لماذ تنظر إلي هكذا؟

ـ لأنني فزت بك ولأنني اتساءل عما إذا كنت سأندم.

ـ لا تتحدث عني وكأنني قطعة أثاث في أملاكك.

ـ قريباً ستصبحين قطعة أثاث جميلة رائعة يا ماي. فرغم إعجابي بك وبجمالك إلا أن الظنون توحي إليّ بأن كنزي هذا قد تمتع به قبلي رجل آخر.

ـ ما تقوله غير صحيح وقد سبق أن ذكرت لك ذلك يا دايفد.

ـ لا تحاولي ثانية الدفاع عن نفسك فأنت تبدين جميلة وأنت تخفضين عينيك هكذا مدّعية البراءة. لكنني لا اتأثر بهذه التمثيليات التي شاهدت الكثير منها، فزوجتي كانت امرأة جميلة تَدَّعي البراءة والطهر بسهولة.

ـ لماذا تتزوجني ما دام الأمر كما تظن؟

ـ لا ريب أنك قد استنتجت الفائدة التي سنجنيها من هذا الزواج.

ـ هل تمانع إن ذهبت إلى كانبيرا، أنا أريد الإتيان بسيارتي كما أريد تسريح شعري عند المزين إضافة إلى شراء بعض الأغراض.

ـ تابعي... يبدو أنك قد قررت ذلك سلفاً.

ـ لن أذهب دون موافقتك. لن أذهب وجانين إلى المدينة إلا بعد الغداء لكنني لن أخذ موعداً من مصفف الشعر حتى الصباح التالي. وبما أن جانين ستبقى في الشقة بضعة أيام فلا بأس لو بقيت

ليلة في المدينة.

ـ أعتقد ذلك... ولكن إن كنت تخططين للهرب مني فالأفضل أن تخبريني.

وقف ثم مد يده بسرعة وجذبها نحوه ثم قال وهو يضمها إليها:

ـ هل تقضين الليلة معي يا ماي؟

ـ هل تريدني حقاً أن أقضيها معك؟

ـ ولكنك تريدين ذلك أليس كذلك؟

كان ساخراً في كلامه إلى حدّ جعلها تجذب نفسها منه. ماذا يعتقدها؟ إنها ليست فاسقة؟ لا بد أنها مجنونة لتقع في حب رجل له هذا الرأي الحقير بها وسألته بضيق:

ـ لماذا لا تصدقني يا دايفد؟

ـ لأنني لا أصدق أية امرأة. فأنا أعرف الكثير عنهن.

عادت ماي للجلوس على الأريكة... ما الفائدة؟ لو أنها وافقت على قضاء الليل معه فسيزداد رأيه بها سوءاً، وربما سيرفضها. وهنا تكمن السخرية فما عليه إلا أن يتزوجها ليعرف بأنها ما زالت طاهرة وبريئة. يبدو أنه كان الأفضل لها لو وقعت عن صخر عال بدل الوقوع في حبه. فزواجها سيكون جحيماً... إن لم تنتزع منه شكوكه هذه. وكيف السبيل إلى ذلك؟ إن لم يُشف من ظنونه فهي لن تستمر في علاقتها معه.

●●●

www.elromancia.com

١٠ ـ هل يصدقها؟

كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة عندما حضرت جانين في اليوم التالي وأخرجت ماي حقيبتها الصغيرة التي وضعت فيها ثياباً تكفي ليلة واحدة، إلى الشرفة. قالت لها جانين وهي تحملها نحو السيارة:

ـ إذاً سيسمح لك دايفد بالبقاء في المدينة.

لم تتبادلا إلا القليل القليل من أطراف الحديث فكل ما تفوهت به جانين هو إعلام ماي بأمر الرسالة التي وصلتها من والدها. أما ماي فقد اكتفت بالقول انها ستذهب إلى مزين الشعر في الصباح التالي.

عندما وصلتا إلى الشقة، دخلت ماي رأساً إلى المرآب لترى ما إذا كانت بطارية سيارتها صالحة. قالت لجانين وهي تخرج من السيارة:

ـ أعتقد أنك تودين وضع سيارتك في المرآب الليلة...

ـ لا... لا داعي للعجلة لدي موعد عشاء، وسآخذ سيارتي معي.

صعدت جانين إلى الشقة في الوقت الذي راحت ماي تفحص سيارتها ثم بعد ذلك أخرجتها ووضعتها في الشارع أمام المبنى.

وعندما صعدت إلى الشقة كانت جانين تغير ملابسها لتخرج ووجدت على الطاولة رسالة لها من أمها أرسلتها من باريس. وبدا من الرسالة أنها وادوارد يقضيان وقتاً سعيداً على الرغم من البرد هناك، وكتبت في الرسالة مختصراً قصيراً عن رحلتهما وذكرت عنواناً في «كان» حيث تستطيع ماي مراسلتها إليه. وأنهت الرسالة بالقول:

«أرجو أن يكون دايفد لوغان على اتصال بك، وأن لا تكوني قد سببت له مشاكل».

عبست ماي عندما قرأت هذه الكلمات فيا ترى بماذا ستفكر أمها عندما تكتشف بأنهما سيتزوجان؟ وربما حدث ذلك قبل عودتهما. ألم يقل دايفد لجانين إنّ الخطوبة لن تطول لكنه لم يبحث الموعد مع عروس المستقبل.

دخلت إلى غرفتها لتأخذ أوراقاً تكتب عليها ردّ الرسالة فأتت جانين بعد قليل وهي تقول لها:

ـ أنا خارجة الآن يا ماي... أراك عند الصباح.

ـ لقد أخرجت سيارتي من المرآب يا جانين.

هزت جانين رأسها دون أن تشكرها وبعد لحظات سمعت ماي صوت الباب الخارجي يقفل. وشعرت بغرابة للعودة إلى الشقة. أخذت تتجول فيها مشعلة الأنوار والتلفزيون محدقة في كل أرجاء البيت. بدت غرفة جانين نظيفة ومرتبة، لكنها لاحظت وميضاً فضياً على طاولة الزينة تقدمت لترى ما هو فإذا به مفتاح الشقة وهذا يعني أن عليها أن تبقى مستيقظة إلى أن تعود جانين لتفتح لها الباب.

بعد أن تناولت وجبة سريعة حضّرتها من البراد. غسلت الصحون وعادت لتغرق نفسها في الأريكة الموجودة في غرفة

www.elromancia.com

الجلوس، كان التلفزيون يبث البرامج وأوراق الكتابة على ركبتيها... بدا لها أنه قد مر وقت طويل منذ كانت في الشقة، وعادت بها الذاكرة إلى ليلة ظهور دايفد هنا ليجدها برفقة رجل... منذ متى كان ذلك يا ترى... وكم حدث الكثير منذ ذلك التاريخ! لو علم دايفد الحقيقة في ذاك الوقت لتغيرت الأحوال عما هي عليه الآن. في ذاك الوقت انجذب إليها دايفد كما انجذبت هي إليه ولأنه أثار عواطفها بسهولة اعتقد أن لاري قد فعل الشيء نفسه وكم كان مخطئاً بظنه ذاك.

رمقت أوراق الكتابة وهي تتساءل عما ستقول لأمها؟ أتكتب لها قائلة:

«لقد كان دايفد لوغان قريباً مني إلى درجة قررنا بعدها الزواج... وكنت أسبب له المشاكل أكثر مما يمكنك تصديقه».

وفكرت بدايفد. وقررت أن تتصل به. وما إن وقفت على قدميها حتى رن جرس الباب... هل عادت جانين... والساعة لم تتجاوز التاسعة بعد!

عندما فتحت الباب وجدت أمامها لاري تيرنت... حدقت فيه باستغراب فإذا به يبتسم لها... فكرت كيف أعجبها يوماً. لقد استطاعت الآن أن تلاحظ الضعف في وجهه، والفراغ في عينيه... قال لها:

ـ بعد أن رأيت الأضواء صعدت لأرى من في الشقة أنت أم جانين... هل تسمحين لي بالدخول يا ماي؟

ـ أجل... بالطبع... تفضل.

وأغلقت الباب وراءه وقادته نحو غرفة الجلوس... التفت حوله ثم جلس على الأريكة مبعداً الأوراق كي تستطيع الجلوس إلى

جانبه.

ـ كما في الأيام الغابرة؟

نظرت إليه نظرة ساخرة ثم اطفأت التلفزيون لكنها لم تجلس قربه بل على مقعد آخر، وكم تمنت في هذه اللحظة لو رفضت دخوله إلى الشقة.

ـ قبل أن أنسى.

مد يده إلى جيب سترته وأخرج مغلفاً أعطاها إياه:

ـ المال الذي أدين به لك. عديه. فهنا كل قرش أقرضتنيه إضافة إلى فاتورة الفندق.

تناولت ماي المغلف فإذا بها ترى الأوراق النقدية جديدة وكأنها وصلت حالاً من المصرف. وخلع لاري سترته ثم فتح أعلى قميصه ثم فك شريط حذاءه. فقالت له بعدائية:

ـ شكراً لك على إعادة مالي يا لاري... إنما لا أريدك هنا.

ـ لماذا يا ماي! ثقي بي الآن... يمكننا تناول فنجان قهوة، لأشرح لك ملابسات ما حدث.

ـ لقد شرحت كل شيء، وفهمته جيداً. هل لك أن تخرج الآن؟

ـ أأنت خائفة مني؟ هيا يا ماي... دعيني أعد القهوة... فأنا بحاجة فعلاً إلى فنجان.

قبلت على مضض:

ـ حسناً... ولكن بعد ذلك يجب أن تذهب. فستعود جانين عما قليل.

دخلت المطبخ، وبقي هو في غرفة الجلوس، وكأنه في بيته. تساءلت كيف تستطيع التخلص منه! إنها لا تريد أن يكون موجوداً

عندما تعود جانين... والأكثر، لا تريد أن تسمع منه أي شرح إضافي، إذ يستطيع الاستمرار في الشرح لمليون سنة ولن تتقبل هذا منه. فما كان يروق له طوال الوقت هو أموال ادوارد ماننغ، كما قال دايفد بالضبط. ولا يستطيع إقناعها بالعكس.

عندما عادت بالصينية إلى غرفة الجلوس، كان قد خلع حذاءه وأدار التلفزيون وقال لها وهو يجلس مرتاحاً في عمق الأريكة:

ـ إنه فيلم رائع... هل شاهدتيه من قبل يا ماي؟

ـ أجل، ولا أريد رؤيته ثانية.

تجاهل قولها وأخذ فنجان القهوة وعاد إلى الاستلقاء ليشاهد الفيلم. بدأت ماي تشعر بالخوف والغضب معاً: كيف يجرؤ على التطفل عليها هكذا ثانية؟ في اللحظة التي سينهي بها القهوة ستطفىء التلفزيون وتطرده.

أنهى لاري قهوته، فوقفت فوراً وقالت بحزم:

ـ ارحل الآن يا لاري... أرجوك البس احذاءك واخرج.

ـ حسناً لكنني أود استخدام الحمام أولاً...

بعد أن غسلت فنجاني القهوة عادت إلى غرفة الجلوس ثم وقفت تصغي لأنها لم تسمع باب الحمام يفتح أو يغلق. أرادت أن تناديه لكنها شعرت بالإحراج.

أخذت تحدق في أوراق الكتابة، دون أن تستطيع التفكير بما سوف تكتبه لأمها، نظرت إلى حذاء لاري المرمي على الأرض. وتمنت أن يخرج فينتعله ويذهب... وأخيراً لم تعد تستطيع التحمل، فخرجت إلى الردهة وصاحت:

ـ هل أنت بخير يا لاري؟

لم يجبها مباشرة، وبعد لحظة فتح الباب وهو يقول:

ـ أشعر بأنني لست على ما يرام... علي أن استلقي قليلاً.

دخل إلى غرفتها، وانهار فوق السرير.

ـ ما بك يا لاري؟ أين تشعر بالألم؟ هل هي معدتك؟

ـ لا بد أن السبب شيء أكلته.

تلوى متأوهاً، وطوى ركبته على السرير. فقالت بقلق:

ـ يا إلهي... الأفضل أن اتصل بالطبيب... قد تكون الزائدة. أين هو الألم؟

ـ اوه انه ألم عام. لا تهتمي لا بد في أنَّ السبب أكلة تناولتها. اعطني دواء مهضماً... فلعلي إن نمت قليلاً...

ـ يجب أن تخرج من هنا... إلى غرفة الجلوس.

ـ حسناً. لكن احضري لي دواء أولاً.

أسرعت ماي لتحضر الدواء له. ولكن قبل أن تصب كوب الماء دق جرس الباب. فحمدت الله فجانين وصلت. ولكن عندما فتحت الباب، وجدت دايفد واقفاً هناك، واحمرت وجنتاها ثم شحبت:

ـ أنا... لقد ظننتك جانين.

وتجاوزها داخلاً إلى الردهة ومن ثم إلى غرفة الجلوس، وهو يقول:

ـ أنت تعرفين أن جانين في المنزل الريفي وقد زارتني وهي عائدة لترى ما إذا كنت قد وصلت بسلامة.

ـ ولكن... هذا لا يمكن... إنها ستبقى هنا...

وصل إلى غرفة الجلوس، وغاص قلبها، عندما نظر إلى حذاء لاري على الأرض، وسترته على الأريكة. فقال بصوت جاف:

ـ التاريخ يعيد نفسه. من هذا؟

www.elromancia.com

- إنه... إنه لاري تيرنت... أتى ليعيد لي المال الذي يدين لي به... إنه... إنه مريض ونائم في...

شعرت بأن نظره قد تجاوزها فاستدارت لتنظر إلى الخلف. فإذا بلاري يقول بابتسامة كسولة:

- هيا يا ماي... ما فائدة الادّعاء؟ لسنا أطفالاً ولو أننا...

وقبل أن يتفوه بكلمة أخرى كان دايڤد قد رماه أرضاً بلكمة قوية وقال له وهو يكاد لا يتمالك أنفاسه:

- اخرج من هنا قبل أن أضربك ثانية. ولكن لا... تمهل سأخرج معك.

- لا أريد القتال...

مسح الدم من طرف فمه، ثم دخل الغرفة ليرتدي حذاءه وسترته... لا تدري ماي المرعوبة كيف واتتها الشجاعة لتصيح به:

- لِمَ الكذب يا لاري؟ أنت تعلم أنني أقول الحقيقة... كنت مريضاً و...

اختفى صوتها فجأة... يا لي من غبية! طبعاً هو ما كان مريضاً! اتسعت عيناها عندما فهمت اللعبة القذرة المدبّرة بإحكام:

- ادّعيت المرض... ولكن... ولكن لماذا؟

- اوه... أما زلت تتملصين يا ماي؟ لقد دعوتني لقضاء الليل معك... لم تكن الفكرة فكرتي وحدي.

شهقت ماي صائحة:

- هذا كذب!

ونظرت إلى دايڤد الذي كان ينقل بصره منها إليه وعيناه قاسيتان حادتان وكأن فيهما شر العالم كله ورغبة قوية في خنقهما معاً وتمنت

ماي الموت. وسألته بصوت مرتجف:

- هل تصدقه؟ فإن صدقته فهذا يعني أنّ كل شيء قد انتهى يا دايڤد لوغان... لأنني لن أتزوج رجلاً لا يثق بي، لن أرغب بأن أراك ثانية... أبداً!

انفجرت بالبكاء ثم هربت إلى غرفتها صافقة الباب وراءها منكبة على وجهها فوق السرير منتحبة متألمة. لكن تناهى إليها صدى لكمات وأصوات متعالية. لماذا كذب لاري؟ ماذا لديه ضدها؟... ثم أدركت فجأة... جانين وراء كل هذا ومن غيرها؟ هي تعرف أن لاري في كانبيرا ومما لا شك فيه أنها قد تآمرت معه على حبك هذه المؤامرة الخسيسة. في هذه اللحظة تذكرتها يوم هددت قائلة وهي تشير إلى حذائها «سأدوسك». وبما أنها تعرف أن دايڤد لا يثق بالنساء فقد اتخذت هذه الحيلة. لكن هل سيفوت دايڤد كذبُها. آه يا رب كيف وقعت في حبه وهو لا يحبها؟

انتهى الآن كل شيء. لقد كانت تعني ما تقول عندما أبلغته بأنها لا تريد رؤيته ثانية... سوف تغادر كانبيرا... وتبدأ حياتها من جديد في مكان ما فهي الآن تملك بعض المال.

جلست في سريرها وهي تجفف دموعها ثم أخذت تصغي... وإذا الصمت مطبق. هل خرجا؟ تمنت ذلك بينما إحساس عميق بالفراغ والإرهاق يجتاح قلبها. كان ملء عينيها الدمع حتى كادت لا ترى دايڤد عندما فتح الباب متجهاً إليها.

قالت له بصوت كسير:

- اذهب... من هنا.

لم يجبها، بل دخل إلى الغرفة وجلس على السرير قائلاً:

- أنا آسف يا ماي.

www.elromancia.com

نظرت إليه وهي تمسح دموعها... دايفد لوغان... آسف. هذا حلم لا ريب في ذلك. فضحكت ضحكة نصفها نحيب. وقالت:

ـ أنت آسف! ولكن على ماذا؟

علمت أن لا فائدة من اقناع نفسها بأنها لا تريد رؤيته ثانية فهي في الواقع تريد ذلك وستسامحه على كل شيء لأنها فقط تحبه، تحبه بجنون.

ـ آسف على أشياء كثيرة لا يحصى عددها يا ماي. أنا لا أستحق حبك...

ـ لا تقل هذا... ماذا حدث؟ أين لاري...؟ هل...

ـ ما زال قطعة واحدة وقد ولّى إلى غير رجعة.

ـ أمُصدِّق أنت ما قاله؟

ـ أصدق ما اعترف به الآن كرهاً. أعترف أنني كنت حقيراً طوال الوقت ولن استغرب إذا ما رفضت الزواج مني بعدما رأيت من نذالتي.

أمسك يدها بكلتا يديه... أما هي فنظرت إليه، إلى شعره الأسود إلى ذقنه وخطوط فمه التي لم تكن قاسية بل حزينة وهذا ما لم تره قبل الآن وإلى وجهه الذي تفاعلت فيه المرارة والندم. شعرت برغبة قوية في رمي نفسها بين ذراعيه... إنه ليس وحشاً بالنسبة لها ولن يكون. أما بالنسبة للزواج منه...

ورفع نظره إلى عينيها:

ـ هناك شيء لم أقله قط لك يا ماي!

ـ وما هو؟

ـ انني أحبك...

اتسعت عيناها بالريبة. بينما خفق قلبها بشدة وتصاعد اللون ثم تلاشى في وجنتيها:

ـ ولكن... لا يمكن...

ـ لا يمكن؟ ما عدت قادراً على المقاومة. لقد قاومت وقاومت دون جدوى. كنت قد أقسمت يوماً ألا أحب امرأة أخرى وألا أثق بامرأة كالحمقى. ومع أنني لم أثق بك عجزت عن منع نفسي من الوقوع في حبك... يا إلهي أنت تكرهينني الآن.

هزت ماي رأسها ثم قالت صادقة:

ـ كرهتك فقط عندما لم تصدقني... ماذا قال لك لاري الآن؟ لست أفهم...

ـ لاري قال لي عدة أشياء. لقد هددته بالضرب إذا لم يعترف، فاعترف أخيراً أنه عُرض عليه مبلغ كبير ليأتي إلى هنا الليلة... وليبقى إلى أن أصل، حتى أعتقد بأنه معك...

لا بد أنها جانين والمبلغ الكبير الذي قبضه لا بد أنه مال جانين الذي كان يجب أن تدفعه لفاتورة الأثاث. قال دايفد:

ـ أنت تعلمين من خطط لذلك أليس كذلك؟

هزت ماي رأسها... وهي تعتقد بأنها لن ترى هي أو دايفد جانين ماننغ ثانية وتابع كلامه:

ـ إنها المرأة التي لم يكن يجب أن أثق بها. لا أنت.

ـ أنا آسفة...

ـ هل لديك شيء تأسفين عليه؟

ـ أجل... الذهاب مع لاري... أنا... لقد أردتك حقاً أن تمنعني، ولكنك لم تفعل، ولم أكن أعلم أنك اضطررت للسفر. جانين لم تخبرني شيئاً. ولست أدري حقاً لماذا فعلت هذا. أنا...

www.elromancia.com

أنا . . . لقد حاولت أن أحب لاري ولكن الأمر لم ينجح . . . أعتقد أنني كنت تقريباً واقعة في حبك .

ـ والآن . . . أما زلت تقريباً واقعة بحبي . . . يا حبيبتي؟

جذبها بين ذراعيه وهو ينظر إلى عمق عينيها . ولتجيبه ، أغرقت نفسها في عناقه ، وهي تشعر بالنار تتسارع في كل عروقها . . .

همست في أذنه . . . «أنا سعيدة بحبك يا دايڤد» .

●●●

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة